

التبشير الفرنسي الكاثوليكي في ولاية الأناضول في القرن التاسع عشر (النشاط التعليمي نموذجاً)

إيمان عبدالرحمن هياجنة، حنان سليمان ملكاوي *

ملخص

تتناول هذه الدراسة نشاطات المبشرين الكاثوليك الفرنسيين في ولايات الإمبراطورية العثمانية، وعلى وجه الخصوص ولاية الأناضول خلال القرن التاسع عشر الميلادي، من خلال تناول نشاطهم التعليمي. وقد تناولت الدراسة أوائل المبشرين الذين قدموا إلى الإمبراطورية، والعوامل التي سهلت لهم القيام بمهامهم في مختلف ولاياتها. إضافة إلى الوسائل التي استخدمت في التبشير. وبينت كذلك أهداف المبشرين والأقاليم التي انتشروا فيها ومؤسساتهم التعليمية التي أسست في مختلف الولايات العثمانية، وموقف الإدارة العثمانية تجاه نشاطاتهم. وختمت الدراسة بالآثار والنتائج التي ترتبت على هذا النشاط التبشيري.

الكلمات الدالة: التبشير، الإمبراطورية العثمانية، المبشرين الكاثوليك، التعليم.

المبشرون الكاثوليك.

ويُعد الفرنسيون والدومنيكان من أوائل القوى التبشيرية التي استطاعت تشكيل جمعيات وطوائف مثل الجزويت (Jesuits)، والكابوشيون (capuchin)، ونوتره دام دي سيون (notre dame de sion)، والفرير (frères)، وغيرها. فكانت هذه الطوائف أو الجمعيات إما فرنسية أو مدعومة من الجانب الفرنسي وكان قدوم هؤلاء إلى الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، ووجهوا اهتمامهم في بداية الأمر نحو التعليم ونحو اللاتين الكاثوليك في القسطنطينية "استنبول".

وقد حظيت فرنسا بامتيازات كثيرة في الدولة العثمانية، قبل ان تشمل هذه الامتيازات الدول الأوروبية الأخرى. ففي عام 1535 وقعت معاهدة بين السلطان العثماني سليمان القانوني وفرنسا الأول ملك فرنسا، ولم يحصل الفرنسيون بموجبها على حق التجارة فحسب، بل على جملة من الامتيازات الأخرى. ومنذ ذلك التاريخ أخذت المصالح الفرنسية تزداد وتقوى جذورها في مختلف ولايات الإمبراطورية العثمانية ولاسيما الولايات العربية.

أقامت البعثات التبشيرية بوجه عام ولا سيما الفرنسية منها المؤسسات الخيرية كدور الأيتام، والمستشفيات، ومدارس تعليم اللغات الأجنبية، والمدارس في ولايات أخرى في الإمبراطورية العثمانية في منطقة الأناضول، ودمشق، وبغداد، وبيروت، والقاهرة، وفلسطين وغيرها. ويفضل المؤسسات التعليمية التبشيرية تغلغل أفكار سياسية جديدة في الدولة العثمانية ومن أهم المؤسسات التعليمية التي تقتضي الإشارة إليها جامعة

المقدمة

امتدت الإمبراطورية العثمانية امتداداً واسعاً في ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وأفريقيا، وأصبحت تحكم شعوباً اختلفت أعراقهم وديانهم ولغاتهم وثقافتهم، الأمر الذي ساعد على جذب المبشرين الكاثوليك للقدوم إلى ولايات الإمبراطورية العثمانية ولقت انتباههم إلى الحقوق الواسعة النطاق التي تتمتع بها الأقليات التي تحتضنها الإمبراطورية، وكذلك الموقع الذي تشغله الإمبراطورية في خريطة العالم من حيث أهميتها الجيوسياسية والجيواستراتيجية؛ فقد كانت مسيطرة على الطرق البرية والبحرية التي تسلكها التجارة الأوروبية، وتوفر الكثير من الخامات الأولية التي تحتاجها أوروبا لتجاريتها وصناعاتها وأسواقها، كما أن غالبية الأماكن المقدسة المسيحية تقع ضمن حدود الإمبراطورية العثمانية.

كانت الدولة العثمانية قد منحت حقوقاً واسعة لسكانها، ويفضل ذلك تمكنت الاقليات، وبسبب هذا التسامح والحرية التي نعم بها سكان الدولة، وجدت القوى المسيحية الطريق ممهداً لحماية نشاطها التبشيري. وكان من أوائل هذه القوى: السريان، الأرمن، والنساطرة، والملكانية، والرومان وغيرهم لدمجهم مع كنيسة الغرب في روما. فبدأت البعثات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية من أجل التوغل في كافة أرجاء الإمبراطورية العثمانية، وكان أول الواصلين للإمبراطورية هم

* قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2013/5/14، وتاريخ قبوله 2013/10/6.

يسري في جسد الإمبراطورية مع نهاية القرن السادس عشر الميلادي وبداية القرن السابع عشر الميلادي حيث أصبحت هذه الفترة من أخطر الفترات التاريخية التي مرت على الإمبراطورية وهي الفترة الذهبية للتوغل السلمي والمنظم للبعثات التبشيرية الفرنسية الكاثوليكية. وفي القرن التاسع عشر تنبتهت الدولة العثمانية لهذا الخطر باتخاذ بعض الإجراءات اللازمة منها وضع المدارس التبشيرية الأخرى وبالأخص الفرنسية منها تحت رقابة إدارة الدولة، وأصدرت تشريعات وقوانين من شأنها عرقلة عمل هذه المدارس. وخلال الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م) ومع تفكك الإمبراطورية العثمانية أصبحت هذه المدارس خارج نطاق الرقابة ولذلك زادت حدة نشاطاتها في الولايات المختلفة للدولة.

ونتيجة لملاحظة خطورة هذه المدارس والمؤسسات التبشيرية تنبه الكثير من الباحثين الى ضرورة رصدها ورصد انشطتها مما وفر فرصة كبيرة لدراستها.

المبحث الأول

التبشير في الدولة العثمانية

كلمة التبشير في اللغة جاءت من البشرى، والبشارة مصدر لفاعل بشر، أبشر، بشرى، بشر أي أخبر خبراً يؤثر في البشرية، وهو يكون بالفرح كما يكون بالحزن⁽¹⁾ إلا أنها تستعمل بقدر أكبر في الفرح كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْشُرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتُمْ بِهِ مُتَشَابِهُونَ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾⁽²⁾ وقد يستعمل في الحزن كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَلْ لَكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنْثَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾⁽³⁾.

أما المعنى الاصطلاحي للتبشير، فهو ما يطلق على محاولات الدول الغربية نشر الديانة المسيحية بين أتباع الديانات الأخرى، سواء كانوا مسلمين أم يهوداً أم غيرها من الديانات، وحتى بين المخالفين لهم في المذهب من أتباع الديانة المسيحية نفسها⁽⁴⁾. وقد قامت فكرة نشر المسيحية بناء على ما جاء من الإشارات الواضحة في الإنجيل المتمثلة في الانطلاق لكل أنحاء العالم لأجل نشر العقيدة المسيحية مثل ما ورد في إنجيل متى: " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"⁽⁵⁾. وكذلك جاء في إنجيل مرقس على لسان السيد المسيح: " اذهبوا إلى العالم واكرزوا بالإنجيل للخليفة كلها، فمن آمن واعتمد

"القدس جوزيف" التي أسستها فرنسا في بيروت عام 1870م، والتي كانت أداة للسيطرة الفرنسية على الثقافة والسياسة وكانت مقامة للاستعمار. وعندما أخذ الضعف يدب في ولايات الإمبراطورية العثمانية، أصبحت فرنسا تعتبر الامتيازات التي حصلت عليها من الإمبراطورية حقاً لا يمكن التخلي عنها مهما كلفها الأمر من تضحيات، ومستعدة لاستعمال القوة لحمل كافة الدول الأوروبية على احترام هذه الحقوق وعدم منافستها أو حتى التقليل من أهميتها.

وفي نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين بلغت الأنشطة التعليمية للمبشرين الفرنسيين الكاثوليك ذروتها في مختلف ولايات الإمبراطورية العثمانية، فأنشأت المؤسسات التعليمية بمختلف درجاتها: الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، والتعليم العالي، سواء على مستوى الذكور والإناث، وحتى تستطيع هذه المؤسسات استقطاب اعداد كبيرة من أبناء المهن والأرياف افتتحت مراكز للإقامة الداخلية للطلاب، وأخرى للرهبان والراهبات لتعلم اللاهوت، وبالتالي اعدادهم لإدارة شؤون المدارس التبشيرية هذا بالإضافة الى إقامتهم للمدارس العلمانية. ومن هنا نلاحظ أن فرنسا الداعم والممول الرئيسي لهذه الحركة التبشيرية، كانت تحقق اهدافاً أخرى أهمها الاعداد لتقويض الأركان الدينية للدولة العثمانية. وكان يتم قبول الطلاب دون تمييز من حيث الدين أو المذهب أو العرق، فهذا يعني أن جميع رعايا الإمبراطورية العثمانية كان يتم قبولهم في المدارس التبشيرية. والغرض الأساسي من المدارس هو نشر الكاثوليكية بين إخوانهم المسيحيين في الشرق المختلفين معهم في المذهب، بعد أن فشلوا في تحقيق النجاح بين المسلمين لذلك وجهوا نشاطهم نحو الطلاب الأرمن الرومان والسريان وغيرهم. وكانت هذه المدارس هي المكان الأول الذي أثار الشعور القومي لدى هذه الأقليات.

لقد شكل خريجو هذه المدارس صفوة أو نخبة من المتفوقين امتازوا عن بقية رعايا الإمبراطورية، وتولوا مناصب عليا في الدولة. وكانت هذه المدارس تغرس فيهم ثقافة وحضارة فرنسا فخلقت محبين ومعجبين بحضارتها، وفي نفس الوقت قامت بتبنيهم على طبيعة حضارتهم وثقافتهم الخاصة وعملت على إبعادهم عن دينهم. ومما يلفت الانتباه أن المدارس الكاثوليكية لاسيما الفرنسية شهدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر زيادة كبيرة، والسبب في ذلك يرجع إلى أنها لم تكن جميعها تحت رقابة الإدارة العثمانية فالبعض أنشئ دون إذن الدولة أو علمها، فهذا يعني أنها لم تكن تحت إشراف الدولة بشكل كافٍ ما أدى إلى حدوث تجاوزات عدة.

برزت هذه الحركة التبشيرية في مرحلة بدأ فيها الضعف

"اسطنبول" رهبان الدومنيكان وهي رهبنة أسسها القديس الإسباني دومينيك عام 1215م⁽¹²⁾. وفيما يتعلق ببدايات وجود هذه الكنيسة هناك روايتان الأولى ترى أنهم قدموا إلى القسطنطينية (اسطنبول) في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي والرواية الثانية ذهبت الى ان البدايات تعود الى النصف الثاني من القرن نفسه⁽¹³⁾.

وكان رهبان "الجزويت" اليسوعيون الذي بلغ عددهم خمسة أشخاص فقط أول القادمين إلى اسطنبول بعد فتحها، وقد جاءوا إليها في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1583م، وبعد أن استقروا في كنيسة (القديس بوينت جالاتا Galata St. Benoît Manastir) افتتحو مدرسة وعلى وجه السرعة باشرروا فعاليات التعليم فيها، وكانت غايتهم كتلكة مسيحي الشرق والعمل على دمج كنيستهم مع روما في الغرب، ولذلك وجهت نشاطهم نحو الأرمن والروم (أي بقايا البيزنطيين). وبعد مجيء الجزويت إلى اسطنبول سلك غيرهم من المبشرين الكاثوليك طريقهم، ووجدوا الدعم المادي والمعنوي من فرنسا وإيطاليا، واستفاد المبشرون من الامتيازات التي وفرتها لهم هذه الدول في ممارسة نشاطاتهم. وأخذت الدعاية التبشيرية في أقاليم الإمبراطورية العثمانية في الازدياد اعتباراً من القرن السابع عشر ميلادي، ولم تغفل هذه الدعاية أي جانب من جوانب حياة المجتمع العثماني، وعلى رأسها المدارس، والمؤسسات المدنية بكل أشكالها كدور النشر، والأيتام والمستوصفات والمستشفيات وغيرها⁽¹⁴⁾.

ثانياً: عوامل استقطاب المبشرين الكاثوليك الى الإمبراطورية العثمانية:

كان للإمبراطورية العثمانية مكانة مميزة لدى المبشرين الكاثوليك، فبالإضافة للعامل الديني كان هناك مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والجغرافية عملت مجتمعة على استقطاب الكثير من المتطوعين المسيحيين للقيام بالتبشير في أقاليم الإمبراطورية العثمانية⁽¹⁵⁾. خاصة بعد أن شجعتهم نظرة الإمبراطورية العثمانية المتسامحة والمعاملة العادلة تجاه الرعايا الأجانب، فبموجب تلك النظرة أتيح لهم القيام بكافة أنواع النشاط التبشيري الذي يرغبون به داخل أراضيها دون اعتراض لعملهم. وسوف نقوم باستعراض هذه العوامل باختصار:

1- العامل الديني

تمتع المبشرون المسيحيون داخل الأراضي العثمانية بأوضاع مريحة، لم يجدها في العديد من البلدان الأوروبية الأخرى المسيحية. وقد أشار نورالدين بول فان Nurettin Polvan في مؤلفه: التعليم الأجنبي في تركيا Türkiye'de

خلص، ومن لم يؤمن يدين⁽⁶⁾. بناء على ذلك خرجت البعثات التبشيرية لنشر الديانة المسيحية في مختلف أنحاء الأرض، وينظر المبشرون لمهمة التبشير على أنها مهمة مسيحية أصلاً، وأن المسيح عليه السلام أسس الكنيسة لهذه الغاية بناء على أنه مرسل من السماء.

أولاً: بدايات ظهور المبشرين الكاثوليك في الإمبراطورية العثمانية:

كانت الدولة العثمانية في بداية نشأتها في القرن الرابع عشر الميلادي عبارة عن إمارة من الإمارات الحدودية الكثيرة المنتشرة في آسيا الصغرى. وأخذت هذه الإمارة الحدودية الصغيرة - والتي بدت غير مهمة حينئذ- في التوسع تدريجياً، وذلك بإخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في الأناضول والبلقان، وقد أصبحت أقوى دولة إسلامية بعد ضمها للمناطق العربية منذ عام 1517م. وبعد عهد السلطان سليمان الأول (1520-1566م) تحولت الدولة العثمانية إلى قوة عالمية، وذلك بفضل النجاحات المتتابعة لها والتي تمتد من أوروبا الوسطى إلى المحيط الهندي إلا أنه خلال الحروب الطويلة في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين مالت الكفة لصالح الدول الأوروبية. وهكذا أخذت القوة العثمانية تخبو بشكل متسارع بعد أن سادت القناعة بالتفوق الأوروبي في القرن الثامن عشر الميلادي، وأصبحت الدولة العثمانية تخضع لأوروبا سياسياً واقتصادياً، الى ان تم انهاءها (رسمياً) في مؤتمر لوزان عام (1924م)⁽⁷⁾.

وهناك اعتقاد سائد بأن نشاط المبشرين لعب دوراً أساسياً في سقوط الإمبراطورية⁽⁸⁾، فقد ازداد النشاط التبشيري في مختلف أقاليم الإمبراطورية العثمانية، وكان أبرزه نشاط البروتستانت والكاثوليك، ويعد المبشرون الكاثوليك أول القادمين إلى الإمبراطورية العثمانية⁽⁹⁾. وكان أول ظهور لهم في الأناضول حتى قبل تأسيس الدولة العثمانية، فقد كان رهبان (conventuel) (konventüel) هم أقدم الكاثوليك الذين قدموا إلى القسطنطينية "اسطنبول" في عام 1220م، وينسبون إلى الرهبنة الفرنسيكانية التي أسسها الراهب الإيطالي فرانسيس الاسيزي (st. francis of Assisi)⁽¹⁰⁾. وكان الغرض من قدومهم هو دمج كنيسة الشرق "بيزنطة" مع كنيسة الغرب في روما، وتحويل الكنيسة الشرقية الى كاثوليكية. فانصب جل اهتمامهم على التعليم، وأنشأوا إلى جانب الكنيسة مدرسة مختصة بتعليم اللاهوت لأطفال عائلات اللاتين وسعوا إلى تنشئتهم للعمل مستقبلاً في مدارس الكنيسة⁽¹¹⁾.

ويأتي بعد الرهبان الكاثوليك وصولاً إلى القسطنطينية

الدينية، لاقتلاعهم عن أبناء قوميتهم وملتهم.
6. التركيز على الأقليات المسيحية التي تعيش في مختلف ولايات الإمبراطورية العثمانية، وتوجيههم وفقاً لأغراضهم الخاصة الهادفة إلى فصلهم عن الإمبراطورية ومساعدتهم على تشكيل دول مستقلة عن مركز الإمبراطورية.
7. النفاذ إلى المجتمع العثماني وكسب فئات السكان المختلفة إلى جانبهم عن طريق تقديم الخدمات الطبية والعلمية وغيرها⁽²⁰⁾.

2- العامل السياسي

إضافة إلى أثر وجود أماكن مقدسة مسيحية تقع تحت السيطرة العثمانية فقد أدى العامل السياسي دورا هاما في اهتمام المبشرين بأقاليم الإمبراطورية؛ فنتيجة لفشل الحملات الصليبية التي قادتها الكنيسة من أجل السيطرة على الأماكن المقدسة، وسقوط الإمبراطورية البيزنطية في يد العثمانيين، عاش الكثير من المسيحيين في أقاليم متعددة من الإمبراطورية تحت السيطرة العثمانية، وشكل وجود هذه السيطرة عائقا أمامهم في الوصول إلى الشرق، والشرق الأقصى⁽²¹⁾، علما بأنهم كانوا يعتبرون أن لهذه الأقاليم أهمية جيوسياسية وجيوستراتيجية عظيمة بالنسبة لهم، فمثلا وجود البترول في المضائق، والمناطق المطلة على البحر المتوسط، والأناضول، إضافة إلى امتلاك هذه الأقاليم لمصادر الثروة سواء كانت فوق أو في باطن الأرض، أضف إلى ذلك أن أقصر الطرق المؤدية إلى الشرق الأقصى، من خليج البصرة إلى البحر المتوسط، ومن المتوسط إلى البحر الأحمر تقع في أراضي الإمبراطورية العثمانية⁽²²⁾.

3- العامل الاقتصادي

كانت الدولة العثمانية تملك مساحات شاسعة تستوعب البضائع والمنتجات الأوروبية، كما أنها كانت توفر الكثير من الخامات والبضائع والمواد الأولية التي تحتاجها أوروبا في تجارتها وصناعاتها وأسواقها. وكما ذكر سابقا كانت الدولة العثمانية مسيطرة على الطرق البحرية والبرية التي تسلكها التجارة الأوروبية؛ سواء الطرق البرية التي تسلكها من الأناضول إلى الشرق الأقصى عن طريق بلاد فارس وجبال زاغروس، أو عن طريق بيروت حلب الموصل من البحر المتوسط والتي تمثل النقاء الطرق البحرية بالطرق البرية. أو الطرق البحرية الممتدة على محذاة شواطئ المحيط الهندي والبحر الأحمر وبحر العرب، فكانت الدولة العثمانية تسيطر على كافة المسطحات المائية الاستراتيجية وممراتها ومضايقها في المنطقة، باستثناء البحر المتوسط في الجانب الأوروبي الغربي⁽²³⁾.

Yabancı Öğretim، إلى الأوضاع التي تمتع بها الرهبان الكاثوليك وغيرهم من الطوائف الدينية الأخرى في ظل الإمبراطورية العثمانية⁽¹⁶⁾. فأصبحت الأناضول مقصدهم الأول في ممارسة نشاطاتهم التبشيرية، وعدت "كالوطن الثاني" بالنسبة لهم، أما الوطن الأول بالنسبة لهم فكان "الشرق الأوسط"، الذي ولدت فيه المسيحية. فكان وصف الأناضول في مؤلفاتهم على أنها أرض "الكتاب المقدس" أو "بلد الكتاب المقدس". ولقد ورد في الإنجيل العديد من أسماء الأماكن الموجودة في الأناضول؛ كرحلة بولص الطرسوسي، الذي سافر وتقل لنشر تعاليم الديانة المسيحية في أماكن متعددة من الأناضول⁽¹⁷⁾.

وكانت ولادة ونشأة واضطهاد السيد المسيح عليه السلام، سببا في بناء المسيحيين العديد من أماكن العبادة لهم في القدس وما حولها. وما تزال على هذه الأرض الكثير من القبور والجنود الذين فقدوا حياتهم جراء الحروب الصليبية، والتي كان الغرض منها هو الاستيلاء على الأماكن المقدسة والتي كانت بحوزة المسلمين⁽¹⁸⁾.

كما ان العديد من الأماكن التي تعد بالنسبة للمسيحيين مقدسة أو ذات مكانة خاصة، تقع تحت الهيمنة العثمانية، ولهذا فضل المبشرون الكاثوليك التوجه نحو الأراضي العثمانية. وعلى سبيل المثال: فإن آيا صوفيا تقع في اسطنبول وتعد بالنسبة إليهم من أعظم الأماكن الدينية المقدسة. وتم عقد العديد من المجمع الكنسية في أقاليم متعددة من الإمبراطورية العثمانية، خاصة المتعلقة في تحديد مفاهيم المعتقدات المسيحية، كالمجمع الكنسي في "إزنيق، Iznik"، و"إفسس، Efes"، و"قاضي كوي Kadıköy"⁽¹⁹⁾.

أما عن أهداف المبشرين الكاثوليك الدينية في أرجاء ولايات الإمبراطورية العثمانية المختلفة، فيمكن إجمالها فيما يلي:

1. تلقين وترسيخ العقيدة المسيحية الكاثوليكية لدى غير المسيحيين الموجودين في ولايات الإمبراطورية، وتعليمهم الكتاب المقدس "الإنجيل".
2. تحويل المسلمين إلى المسيحية الكاثوليكية، وكذلك كل المخالفين للكاثوليكية في المذهب. وعندما أدرك المبشرون الكاثوليك صعوبة تحويل المسلم للمسيحية عملوا على التركيز على الطوائف المسيحية المختلفة معهم في المذهب الموجودين في الأراضي العثمانية.
3. العمل على دمج كنيسة الشرق مع الغرب في روما.
4. العمل على تنشئة مبشرين محليين لتسليمهم إدارة الكنائس في أوطانهم.
5. العمل على التأثير على أولاد المسلمين في النواحي

4- العامل الجغرافي

1. رهبان الكونفنتيل الفرنسيسكانية "Coventuel"، الذين كان قدومهم الأول في عام 1220م، وقدومهم الثاني في عام 1643م⁽²⁹⁾.
2. رهبان الدومنيكان، فقد كان أول قدوم لهم إما في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي أو في النصف الثاني من القرن نفسه⁽³⁰⁾.
3. رهبان الكبوشيين "Capucun"، وكان قدومهم الأول في عام 1551م، والثاني 1587م⁽³¹⁾.
4. رهبان الجزويت "يسوعيون" Jesuite، Jezuit، وكان قدومهم في عام 1583م⁽³²⁾.
5. رهبان الأبزورفانت "Obsrvant"، Obzervan، وتعد فرعاً لجمعية الفرنسيسكان القديمة، وكان قدومهم في عام 1584م⁽³³⁾.
6. رهبان الريفورمات "Riformati"، من الفرنسيسكان، كان قدومهم 1630م⁽³⁴⁾.
7. رهبان لازارست "Lazariste"، قدومهم في عام 1783م⁽³⁵⁾.
8. راهبات فلز دي لا شاريت "Filles de la Charite" قدومهم في عام 1838م⁽³⁶⁾.
9. رهبان "Freres des Ecoles Cheretienes"، قدومهم في عام 1842م⁽³⁷⁾.
10. راهبات نوتردام دي سيون "NotreDame de Sion" قدموا في عام 1857م⁽³⁸⁾.
11. راهبات ورهبان الكاثوليك الجورجية، قدموا عام 1861م⁽³⁹⁾.
12. راهبات افريا " Ivrea " الايطالية، قدموا عام 1869م⁽⁴⁰⁾.
13. راهبات الفرنسيسكان، قدموا في 15 تشرين الثاني 1872م.
14. راهبات الدومنيكان، كان قدومهم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر م.
15. رهبان "Assomption" أسمشن" قدموا عام 1862م، أما الراهبات فقد قدموا 1882م⁽⁴¹⁾.
16. راهبات كاليه الفرنسيسكانية "Calais"، قدموا عام 1886م.
17. رهبان ماريست "Mariste"، قدموا في عام 1892م⁽⁴²⁾.
18. راهبات "Petites Soeurs de Pauvres" قدموا في عام 1892م.
19. راهبات "Soeurs de Coception de Lourdes" قدموا عام 1896م. راهبات لورديس "راهبات

هناك عامل مهم آخر، فرض على الغرب المسيحي التفكير بإيجاد وسيلة للتوغل السلمي بمخططاته بعيدة المدى داخل الكيان العثماني، وهي أن المنطقة الجغرافية، التي تشكل الشرق العربي، تقع فيها المواقع التاريخية للكنائس الشرقية، هذه المنطقة تشكل الحدود الجغرافية لسيادة وانتشار الكنائس الشرقية على أتباعها من المسيحيين الشرقيين، إذ انتشرت بطريركياتها في كل من اسطنبول، والاسكندرية وبيت المقدس، وحب، وبيروت، والموصل، وماردين، وديار بكر، وقد كان لهذا الموقع الجغرافي لتلك الكنائس أهمية كبيرة في حمايتها من الضغوط الغربية، فهي ضمن دائرة السيادة العثمانية التي تكفل لها حرية العقيدة والعبادة والثقافة، فلم تتعرض هذه الكنائس ومؤسساتها إلى أي نوع من الضغوط الدينية أو السياسية من قبل العثمانيين أو عموم المسلمين، وكانت تتمتع بالأمن والاستقرار، كما منح العثمانيون لبطريركياتها إدارة مستقلة لشؤون رعاياها في الأمور الدينية والمدنية التي تخصها⁽²⁴⁾.

وربما يمكن إضافة عامل آخر هو ما أثاره النشاط العسكري العثماني من قلق أوروبي حاد، كما أثار مخاوف بابوية من مشاريع عثمانية تهدف إلى تحويل الأوروبي-المسيحي إلى الإسلام⁽²⁵⁾.

ثالثاً: وسائل المبشرين الكاثوليك للتبشير في ولايات الإمبراطورية العثمانية:

أصبحت ولايات الإمبراطورية العثمانية وخاصة الأناضول مكاناً يتردد عليه المبشرون المسيحيون، وكان المبشرون الكاثوليك من أوائل الطوائف التي قدمت إلى الإمبراطورية العثمانية، وشارت نشاطاتها التبشيرية. وقد كانت الغالبية العظمى من هؤلاء المبشرين من فرنسا، ثم سار المبشرون الكاثوليك الإيطاليون والنمساويون على نهجهم⁽²⁶⁾.

وكان شامل موتلوا " Şamil Mutlu" قد ذكر في مؤلفه "مدارس التبشير في الدولة العثمانية" (Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okulları) إلى أعداد الطوائف الكاثوليكية، فأشار إلى أن عدد التي أنشئت في القرن التاسع عشر الميلادي - وباستثناء التي كانت موجودة قبل هذا التاريخ - قد بلغ خمسين طائفة، ووجد موتلوا أن أكثر من خمسة وثلاثين من أعضائها هم من الراهبات والرهبان الذين قاموا بنشاطات تبشيرية في مختلف أرجاء ولايات الإمبراطورية العثمانية⁽²⁷⁾.

أما المؤلف ناهد دينجر " Nahid Dinçer" فقد ذكر في مؤلفه " المدارس الخاصة الأجنبية" (Yabancı Özel Okullar)، عشرين طائفة قدمت في فترات مختلفة⁽²⁸⁾، وهي كالاتي:

العذراء الطاهرة»⁽⁴³⁾.

20. رهبان ساليسيان "Salesien"، قدموا عام 1903م⁽⁴⁴⁾. وفي إطار التخطيط وتنظيم نشاطات المبشرين الكاثوليك، قام البابا جريغوري الخامس عشر بإنشاء مجمع الدعاية في الفاتيكان "La Sainte Congrégation de la Propagande" في عام 1623م⁽⁴⁵⁾. حيث أصبح الجهة المنوط بها إدارة وتنظيم البعثات وكذلك المركز الذي تنطلق منه البعثات التبشيرية لتوزيعها وبثها في مختلف أرجاء ولايات الإمبراطورية العثمانية. وكان يقوم هذا المجمع بوضع خطط التبشير، والإشراف على وضع السياسات التي تؤدي إلى استمرارها ونجاحها في العالم. ويقوم أيضا بالإشراف على البعثات التبشيرية وتنظيم نشاطاتها والعناية بإدارتها، فهو الذي يضع القوانين ويحدد النشاطات ويوفر لها احتياجاتها أثناء العمل التبشيري كما يدرس المشكلات التي تواجه الإرساليات أثناء التبشير. وفي عام 1655م اتخذ في إستنبول وكيل للبابا توجب على معظم الكاثوليك في الإمبراطورية العثمانية الإذعان والطاعة له⁽⁴⁶⁾.

استخدم المبشرون الكاثوليك وسائل عديدة لتحقيق أهدافهم تضمنت مخططات أيديولوجية، وثقافية، واجتماعية، تقضي إلى وضع خطة نحو التغلغل السلمي لتحقيق مصالحهم الدينية والسياسية في أقاليم الإمبراطورية العثمانية. فكان لابد من الانطلاق من قاعدة العمل المنظم والتي تستند إلى التخطيط والإدارة المركزية والتي وضعت أسسها الكنيسة البابوية، والتي يصح أن نطلق عليها العمل ضمن نطاق الجماعة والمؤسسة. فقد كان البابا يشرف بنفسه على مقتضيات العمل كما كان يدير مجلساً مكوناً من إحدى عشر كاردينالاً، يكونون مسئولين أمام البابا عن التخطيط لمراحل العمل الدقيقة للبعثات التبشيرية، والأهداف الخاصة بكل مرحلة، وعدم التدخل في نشاطات ووظائف البعثات والمبشرين بعضها ببعض. كما كان لكل بعثة من البعثات مقرّاً إقليمياً تتبثق عنه وتزاول نشاطاتها القيادية من خلاله، ورئيساً أعلى لتلك البعثات، كما كان المبشرون من المؤهلين والمتدربين على أساليب العمل القيادي، بالإضافة إلى أن معظمهم كانوا من الذين يجيدون ممارسة الطب، فضلاً عن قدرتهم على مخاطبة الناس بلغاتهم. وكان الجميع مقيدون بالإدارة المركزية. وهكذا فإن التبشير كان خاضعاً للعمل المؤسساتي الجماعي المعقد، والمتواصل، فقد كان هناك مجامع دورية يعقدها المجمع المقدس لانتشار الإيمان ينظر في أدق التفاصيل التي تطرأ على التبشير أو عمل المبشرين في الأقاليم العثمانية المختلفة، ولم يكن هناك تدخل في عمل البعثات ووظائفها واختصاصاتها، فكل بعثة إقليمها الجغرافي الخاص بها، والذي يحدد نشاطاتها وطبيعتها

عملها التبشيري⁽⁴⁷⁾، إضافة إلى مجمع الدعاية البابوية في الفاتيكان 1623م، والذي سبق الإشارة إليه. ويمكن تلخيص السياسة التبشيرية التي تم اعتمادها في الآتي:

1. العمل على إنشاء الكنائس والأديرة وتكثيف التعليم الديني "اللاهوت" على المذهب الكاثوليكي بين المسيحيين الشرقيين، إضافة إلى توجيه الاهتمام نحو الأرمن والروم، ومخاطبتهم كلاً حسب لغته⁽⁴⁸⁾.

2. أولى المبشرون الاهتمام للخدمات التعليمية عناية فائقة، من خلال إنشاء المدارس أولاً ملحقة بالدير أو الكنيسة التي يديرها الرهبان وكانت تعلم مبادئ القراءة والكتابة، كما كانت تهتم بالتعليم الديني بالدرجة الأساسية، كما أنها كانت تهتم بأداب اللغة السريانية والكلدانية لأنها لغة العبادة والثقافة في الكنائس الشرقية في ولايات الدولة العثمانية⁽⁴⁹⁾.

3. فتح المدارس العلمانية، والتي تشمل مختلف المستويات؛ الثانوية، والوسطى والابتدائية، وكانت مختلطة ذكوراً وإناً، وتشتمل على إقامة داخلية لمختلف المستويات، ومنها ما هو بأجر أو بدون أجر⁽⁵⁰⁾.

4. العمل على إنشاء الجمعيات الخيرية التي من خلالها يتم النفاذ إلى داخل المجتمع العثماني لكسب فئات السكان المختلفة إلى جانبهم عن طريق تلك الوسائل ذات الصفة الإنسانية. والتي عدت وسائل ناجحة لكسب قلوب الناس، ولم يميز المبشرون في خدماتهم التي كانوا يقدمونها بين المسلمين والمسيحيين. ومن الجمعيات التي أنشئت في القرن التاسع عشر داخل أراضي الدولة العثمانية:

- جمعية القديس دي بول للمؤتمرات "St. Vincent de Paul Konferanları Cemiyeti" والتي أسست في عام 1846م.
- جمعية بيك أوغلو الخيرية للسيدات "Beyoğlu Hayırsever Bayanlar" والتي أسست في عام 1847م.
- جمعية جالاتا للسيدات "Galata Hayırsever Bayanlar Cemiyeti" والتي أسست في عام 1847م.
- جمعية تاكسيم الخيرية للسيدات "Taksim Hayırsever Bayanlar Cemiyeti" 1853م.
- جمعية حماية الأطفال الفقراء "Fakir Çocukları Koruma Cemiyeti" والتي أسست في عام 1872م.
- جمعية حماية رياض الأطفال للسيدات "Çocuk Yuvası Koruyucu Bayanları" والتي أسست في عام 1872م⁽⁵¹⁾.
- 5. فتح دور لحماية الأيتام وكبار السن الفقراء، ومساعدة

والسريان والأرمن والألبانيين والدوروز واليونانيين والبشناق والصرب والمجر والبلغار وغيرهم. فتشكلت تركيبة لغوية متنوعة فكان هناك لغات قليلة الاستعمال كالسريانية، واللاتينية والعبرية، ولغات حية مستعملة: كالعربية، والتركية، والكردية، واليونانية وغيرها. إضافة إلى ذلك فقد كان هناك تعددية دينية في الدولة العثمانية فقد كان من بين رعاياها: المسلمون السنة والذين كانوا يشكلون نسبة عالية من السكان، إضافة إلى الفرق الشيعية من الشيعة المتأولة، والعلوية والإسماعيلية، وكذلك الدوروز. ومن الطوائف المسيحية: الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والسريان اليقانية، والأرمن، والأقباط، مسيحيو الحبشة، والموارنة، واللاتين، والكاثوليك، والبروتستانت، واليهود⁽⁵⁷⁾.

لقد كانت الدولة العثمانية دولة ضد انكفاء القوميات على ذاتها، وذلك أن التمييز بين مواطنيها لم يتم على أساس العرق، وإنما كان يتم على أساس الدين أو الملة، والتمييز وظيفياً ولم يكن في شيء منه عنصرياً، وكان بوسع المخالفين للدولة في دينها وعقيدتها أن يكونوا جزءاً من الدولة العثمانية لهم ما لبقية مواطنيها وعليهم ما عليهم من واجبات، فلم يكن مصطلح عثمانى أو "الأمة العثمانية" سوى دلالة حضارية على من يعيش في الدولة العثمانية حتى وإن لم يكن من مسلمين. أي أن مصطلح "عثماني" كان أوسع من حيث دلالاته السياسية من مصطلح "مسلم" فقد كان يدل على "المواطنة" في لغتنا السياسية المعاصرة. وفي وقت كان العالم يضج بالممارسات الوحشية من قبل الدول الأخرى ضد المخالفين لهم في الدين أو المذهب، كانت الدولة العثمانية تقف في شموخ حضاري وأخلاقي لا تمارس فيه ضد مخالفيها أي ممارسة متحيزة. ولم يكن مصطلح الأقلية معروف لدى العثمانيين للإشارة إلى الذين يتميزون عن الأغلبية في العرق، أو اللغة أو القومية أو الدين وإنما كان مصطلح "أهل الملل" هو السائد للدلالة فقط على أولئك الذين يتميزون عن الدولة في الدين أو العقيدة. أي أن مصطلح "أهل الملل" لم يكن يحمل أي دلالة عنصرية، خاصة إذا علمنا أن المسلمين أنفسهم كان يطلق عليهم أهل الملة الإسلامية، بينما كان

مصطلح الأقلية⁽⁵⁸⁾ يحمل دلالات عنصرية ومتحيزة من قبل جماعة الأغلبية التي تقوم هي نفسها بتحديد من هم الأقلية⁽⁵⁹⁾.

ويشير روبير مانتران أنه: "بإمكاننا أن نرصد منذ النشأة وجوداً فعلياً لدولة عثمانية لها قوانينها، ومؤسساتها، وإدارتها السياسية، والإدارية، والعسكرية. فالسلطين العثمانيون الأوائل لا يبديون البتة برايرة بلا مبادئ، وانضواء الأعيان والوجهاء

الأطفال الفقراء، وذلك بفتح مدارس مهنية لهم، كصناعة الأحذية والخياطة حتى يصبحوا قادرين على إعالة أنفسهم⁽⁵²⁾.

6. تقديم الخدمات الطبية مجاناً؛ مثل فتح المستشفيات وتقديم الدواء ومساعدة المرضى الفقراء، وأيضاً معاينتهم، وفتح المستوصفات الصحية وتوفير الرعاية الصحية اللازمة للمرضى مجاناً⁽⁵³⁾.

7. وأنشئت القنصليات لإعداد المترجمين، حيث ألحقت بمدارس لغات لهذا الغرض⁽⁵⁴⁾.

8. إنشاء نظام خاص من داخل البعثات التبشيرية يكون ظهوراً لها في التبشير من جانب الخدمات الانسانية والطبية ويكون متقرباً لهذه الاغراض، وقد اطلق على هذه الهيئات أو الجماعات التبشيرية "الأخويات" وهي عبارة عن مجموعة من المبشرين يتفرغون إلى الجوانب العملية والخدمية المتصلة بالتبشير، فإذا كانت خدماتها قد سبقت التبشير، كانت ممهدة لتلك العملية، وإذا لحقت كانت تعمل في مجال دعمه وتثبيت دعائمه.

9. قامت الكنيسة البابوية في إطار استثمار السياسة الأوروبية، بالاهتمام بالمؤسسات الأكاديمية من جامعات ومعاهد للاضطلاع بالبحوث والدراسات في مجال التاريخ واللغات والعلوم الطبية والاجتماعية لتساهم في تنمية عمليات التبشير واستمرارها ودعمها⁽⁵⁵⁾.

10. اعتمدت الكنيسة البابوية لبث الكاثوليكية والدعاية لها، على جلب المطابع إلى ولايات الدولة العثمانية، لتساعد المبشرين على طبع كتب التبشير الكاثوليكي، ومستلزمات التبشير الأخرى مثل النشرات والصحف التي تروج للتبشير⁽⁵⁶⁾. وقد سبقت الإشارة إلى رهبان Assomption الذين استخدموا الصحف في نشاطاتهم التبشيرية.

أسهم عدد من العوامل في تيسير عمل المبشرين الكاثوليك في مدن وأقاليم الإمبراطورية العثمانية المختلفة، ومن هذه العوامل عاملان هما:

1. **بنية المجتمع العثماني:** . كانت الدولة العثمانية دولة عالمية؛ أي أن الدولة لم تُحصَر في الإقليم الضيق المحدد الذي قامت فيه عند تأسيسها، والذي كان يشمل البقعة الصغيرة من الأرض في الأناضول، بل امتدت الدولة امتداداً واسعاً في ثلاث قارات: هي آسيا وأوروبا وأفريقيا، - كما ذكرنا سابقاً- وأصبحت تحكم شعوباً مختلفة الديانات، واللغات، والثقافات، والعادات، والتقاليد.

ومن هنا تميزت الدولة العثمانية بتنوع بشري في جانب العرق، واللغة، والدين؛ فضمت الدولة . إلى جانب الأتراك العثمانيين رعايا من العرب والأكراد والتركمان والشراكسة

مضاعفة، وقد تشدد أحيانا حتى تنال امتيازات سياسية وتجارية جديدة لم تكن لها من قبل. وبذلك لم تكن القوانين العثمانية تطبق على الرعايا الأجانب في أقاليم الإمبراطورية العثمانية⁽⁶³⁾.

وعندما كانت الإمبراطورية البيزنطية "الرومانية الشرقية" مستضعفة اضطرت إلى منح مثل هذه الامتيازات لدول أوروبا القوية. وعندما استولت الدولة العثمانية على أراضي الإمبراطورية البيزنطية سعت الدول الغربية إلى أن تظل لها تلك الامتيازات التي كانت موجودة في بلاد الروم. وبعد أن استولى العثمانيون على القسطنطينية في سنة 1453م، وبعد إقرار النظام فيها، قام السلطان محمد الفاتح بضمان ولاء المسيحيين للدولة وذلك بإعلان نفسه حامياً للكنيسة الإغريقية، وقام بمنح البطريرك الجديد "جنادبوس" مرسوماً يضمن له ولأتباعه ولمرؤسيه من الأساقفة حق التمتع بالامتيازات القديمة التي كانوا يتمتعون بها من قبل، وبمقتضى ذلك أصبح جنادبوس رئيس طائفة ملة الروم "الأرثوذكس"، والمسؤول الرسمي عن سلوك كافة الأرثوذكس الخاضعين للسلطان. وبجانب السلطات الكنسية والقضائية التي يتمتع بها البطريرك، فقد كان له سلطات شرعية أخرى تتعلق بالزواج والطلاق والميراث وفقاً للأصول الكنسية، وكان من عمله أيضاً الفصل في القضايا التي تتعلق بالإغريق، وفرض الغرامات وغيرها من دون أن يخشى تدخل من جانب السلطة العثمانية. وكذلك كان للكنيسة مدارسها الخاصة. وطبقاً للقانون العثماني كان البطريرك وأساقفته هم الذين يفتحون تلك المدارس ويديرون شؤونها. وسارت الدولة العثمانية على هذه السياسة التي عرفت في التاريخ العثماني باسم "الاستمالة". والتي كانت تقوم على جذب الأهالي والسكان المحليين من غير المسلمين واستمالتهم لطاعة الإدارة العثمانية، وذلك بتقديم الامتيازات المختلفة لهم، لإرساء دعائم الحكم العثماني في مناطقهم بعد ذلك. وتتمثل هذه السياسة في حمايتهم لكنائسهم وأديرتهم، وإعفائهم من بعض الضرائب التي كانت مفروضة عليهم⁽⁶⁴⁾.

بدأت فرنسا في بداية القرن السادس عشر التخطيط لتوسيع نطاق مهامها البحرية، ففي عهد الملك فرانسوا الأول (Francis I) اشتد التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية على الأراضي المكتشفة، وبالأخص بين فرنسا وإسبانيا، إذ كان بينهما نزاع على وراثة العرش النمساوي "آل هابسبرغ".

في حين، كان التقدم العثماني يدك الحصون الأوروبية فقد أحرز انتصارات باهرة في موقعة موهاج 1526م، ودخل السلطان سليمان القانوني العاصمة الهنغارية بودابست، وبلغت جيوشه أسوار فيينا، والتي فاز بعرشها الملك شارل الخامس

البيزنطيين تحت راية العثمانيين وغياب قهر واضطهاد المسيحيين شواهد على تعايش معين، وبمرور الوقت يتطور النظام ولا تتعرض سلطة السلطان للمنازعة ويجري التشديد على الطابع الإسلامي للدولة لكن نظاماً يأخذ في التبلور منفتحاً على تفهم لخصوصيات الولايات سمح بصون وتكييف بل وتحسين العادات، والتقاليد، وأنماط الحياة، والأحوال الاجتماعية للرعايا غير المسلمين⁽⁶⁰⁾.

في الفترة الممتدة من القرن السابع عشر وحتى القرن الثامن عشر الميلادي - والذي عدّ من أخطر الفترات التي مرت على الدولة العثمانية وأقاليمها - بدأت الإمبراطورية العثمانية تواجه صعوبة في المحافظة على وحدة بنيتها؛ إذ بلغ عدد السكان الإمبراطورية في القرن الثامن عشر 35 مليون عثمانياً بلغ عدد الأتراك منهم 12.890.000 نسمة، والمسلمون بلغ تعدادهم: 20.550.000، أما المسيحيون فبلغ الأرثوذكس منهم ما يقرب الـ 13.930.000 نسمة، والكاثوليك 900.000، أما اليهود فوصل تعدادهم إلى ما يقرب الـ 170.000 نسمة⁽⁶¹⁾.

إضافة إلى سبق فقد اعتبرت هذه المرحلة من أهم المراحل التي مر بها التبشير الكاثوليكي عبر التطورات التي شهدتها، إذ أنه مع بدايات هذه الفترة، التي شهدت قبلها بفترة وجيزة الإعداد الهائل للطاقت والجهود التي كرستها الكنيسة الكاثوليكية في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، حين بدأت معها أساليب التوغل السلمي والمنظم للبعثات التبشيرية في مختلف ولايات الدولة العثمانية، إلى جانب المصالح الاقتصادية والسياسية وهي مصالح حيوية أخرى امتازت بنفس الأهمية⁽⁶²⁾.

2- الامتيازات الأجنبية: العامل الآخر والذي سهل عمل المبشرين في مختلف أرجاء ولايات الدولة العثمانية، كان هو الامتيازات الأجنبية والتي كانت - كما يدل الاسم - تقوم على منح رعايا الدول الأجنبية النازلين في ولايات الإمبراطورية العثمانية أو السائحين فيها أو المارين بها مروراً "امتيازات" لم تكن تمنح للعثمانيين أنفسهم. ومثال على ذلك: إعفاء هؤلاء الأجانب من الضرائب ومن جزء كبير من رسوم الجمارك، ثم إن السلطات العثمانية لم يكن يسمح لها بدخول بيت أحد من الرعايا الأجانب مهما كان السبب، حتى لو أن جريمة ارتكبت في ذلك البيت، ولا يمكن للسلطة العثمانية أن تحقق بالأمر، بل يوكل الأمر إلى القنصلية التابع لها الرجل الذي يسكن ذلك البيت. فالبيت الذي يسكنه رجل فرنسي أو إنكليزي كان يعتبر جزءاً من فرنسا أو إنكلترا. وكذلك كان لكل أجنبي أن يتجول في مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية كما يشاء، فإذا طاله سوء. ولو كان قضاءً وقدرًا. فإن حكومته تطالب بديته أضعافا

على أراضي الدولة العثمانية، فقامت بإرسال البعثات الدبلوماسية والسياسة إضافة للتجار والمبشرين وبهذه المعاهدة زال المانع الذي كان يقف بين الكنائس الشرقية وبين الغرب المسيحي الكاثوليكي.

وفي ضوء هذه الامتيازات، ومن أجل استثمار بنودها لصالح فرنسا والمسيحية الكاثوليكية، عمل فرنسا الأول على تمكين الصلات بالدولة العثمانية، كما اتخذ بعض الإجراءات المهمة، والتي لها دور فعال في التغلغل الذي أنجزته المؤسسات السياسية والتبشيرية الفرنسية في الحياة العثمانية. والتي أحكمت وجوداً متناسبا مع الأهداف السرية التي سعت إليها من وراء حمايتها "للأقليات المسيحية" في أرجاء أقاليم الدولة العثمانية. وأيضاً في إقامة عدد من القنصليات الفرنسية في المدن والأقاليم العثمانية، وأسندت إدارتها إلى مبشري البعثات التبشيرية، ففتح المبشرين لهم ديراً بجانب السفارة الفرنسية في القسطنطينية. وتمحور هدفهم في البداية بتعليم الشبان الفرنسيين اللغة العربية أو اللغة التركية، لكي يعملوا كمرجمين للسفارات والقنصليات الفرنسية في الدولة العثمانية أو تعليم اللغة الفرنسية للمسيحيين العثمانيين الراغبين بالعمل في السفارات الفرنسية في الدولة العثمانية.

اعتبرت معاهدة الامتيازات التي أنجزتها فرنسا مع الدولة العثمانية، من أخطر المعاهدات التي أثرت على مستقبل الصراع بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي، والتي شكلت البداية نحو ضعف الدولة العثمانية وتقهرها أمام القوى الأوروبية على وجه الخصوص، كما شكلت البداية المبكرة لضعف القوة الإسلامية على وجه عام مستقبلاً.

وبسبب ما حققته فرنسا من سيطرة على التجارة الشرقية والتحكم بها، فقد نشأ تنافس محموم بين الدول الأوروبية لنيل الامتيازات التجارية من الدولة العثمانية. ومع الأيام أخذت الدولة العثمانية تضعف، فكان لضعفها المتزايد سبباً في ازدياد طمع الدول الأوروبية في خيراتها فحصلت انجلترا ثم روسيا واليونان وغيرهم على امتيازات عديدة. وأدرك المبشرون إمكانية الاستفادة من الاحتماء بالامتيازات الأجنبية فقاموا باستغلالها إلى أبعد الحدود⁽⁶⁵⁾.

المبحث الثاني

دور المبشرين الكاثوليك الفرنسيين في النشاط التعليمي

أولاً: بدايات انتشار النشاط التعليمي التبشيري:

منذ أن وُظِنَتْ أقدام المبشرين الكاثوليك الأراضي الإمبراطورية العثمانية عملوا على نشر مذهبهم بين المسلمين وبين الطوائف المسيحية المختلفة معهم في المذهب، إلا أنهم

العدو اللدود للملك الفرنسي فرانسوا الأول. فقام الملك الفرنسي بالتحالف مع الدولة العثمانية القوية ضد العدو المشترك، وذلك لاستغلال الدولة العثمانية للحد من طموحات الملك الإسباني، إضافة إلى فتح المجال لإقامة علاقات مع العثمانيين تمكن فرنسا من النفاذ إلى ممتلكاتها في الشرق. وقام الملك فرانسوا بإرسال سكرتيره الخاص الراهب الفرنسيكاني "جان دي لافرويه" - والذي كان راهباً في مؤسسة القديس يوحنا التبشيرية في فرنسا- إلى السلطان سليمان القانوني في عام 1535م بهدف عقد معاهدة ودية أطلق عليها "معاهدة الامتيازات العثمانية . الفرنسية " والتي منحت بموجبها الدولة العثمانية لفرنسا امتيازات تجارية، واقتصادية، وتسهلات للتجارة الفرنسية والرعيا الفرنسيين، وكان من أهم بنودها:

- حرية التنقل والملاحة في سفن مسلحة أو غير مسلحة بحرية تامة.
- لرعايا الملك الفرنسي حق التجارة والمتاجرة في كل أجزاء الدولة العثمانية.
- للقنصل الفرنسي حق النظر في القضايا المدنية والجنائية التي يكون أطرافها من رعايا الملك الفرنسي، وله الحكم فيها.
- حق التمثيل القنصلي مع ضمان حصانة للقنصل ولأقربائه وللعاملين معه.
- حق العبادة لرعايا الملك الفرنسي.
- أن يدفع رعايا الملك الفرنسي ما يدفعه العثمانيون من الضرائب.
- يمنع استعباد رعايا الملك الفرنسي.

وبذلك يكون أهم ما تضمنته هذه المعاهدة بالنسبة لفرنسا اعطاؤها حرية التجارة، والملاحة، والتنقل في مختلف أقاليم الدولة العثمانية، أضف إلى ذلك أنها فتحت أمامها البحار بحرية تامة. وبذلك تمكنت من الولوج إلى داخل أقاليم الدولة العثمانية، وصارت فرنسا ملكة التجارة في البحر المتوسط، وجميع الأقاليم التابعة للدولة العثمانية. وبعد فترة قصيرة من سريان هذه المعاهدة سيطرت فرنسا على التجارة الشرقية بشكل كامل. وقد أطلق في حينها على هذه المعاهدة "حلف المدنين" إذ أصدر البابا ليو العاشر مرسوماً يحرم فيه أي علاقات ودية مع المسلمين.

تمكنت فرنسا - من خلال هذه الاتفاقية- من التوغل في حياة المجتمع العثماني على أنها حامية الكاثوليك المسيحيين

الطلاب، فكان المبشرون الكاثوليك " اليسوعيون " -خاصة- يجعلون الصفوف الدنيا في عهدة الراهبات، لأن الطلاب الصغار فسائل تغرس فيما بعد في الكليات، فيجب أن تكون هذه الفسائل مطبوعة طبعًا خاصًا⁽⁶⁹⁾.

وكان من أولى الخطوات التي اتخذها السلطان محمد الفاتح بعد استيلائه على القسطنطينية عام(1453م) بأن أعلن نفسه حامى الكنيسة الإغريقية. وكان للكنيسة مدارسها الخاصة، وطبقاً للقانون العثماني كان البطريرك وأساقفته هم الذين يفتحون تلك المدارس ويديرون شؤونها. ففرض البطريرك نفوذه على كل الكنائس المسيحية في الإمبراطورية العثمانية سواء كانت إغريقية أو سلافية⁽⁷⁰⁾. وكثر إنشاء المؤسسات التعليمية في أرجاء الإمبراطورية العثمانية فيما بعد، حيث كان للمبشرين الفرنسيين النصيب الأكبر في إنشائها، خاصة بعد منح الامتيازات من قبل السلطان سليمان القانوني سنة 1535م لملك فرنسا " فرنسوا الأول "، فأُنشئت المؤسسات التعليمية الأولى وتطورت ضمن إطار الامتيازات التي منحت لهم. وفي 18 نوفمبر 1583م، أنشئت مدرسة في كنيسة القديس بينويت في غلطة في القسطنطينية " اسطنبول " Istanbul Galata'daki Saint Benoit من قبل المبشرين الجزويت، والذين أرسلتهم فرنسا. وأغلقت بسبب انتشار الوباء سنة 1586م، وأعيد فتحها في عام 1609م⁽⁷¹⁾. فكانت هذه المدرسة لا تشمل فقط أطفال الكاثوليك اللاتين، بل تضم إلى جانبهم الروم، واليهود، بما في ذلك أطفال السكان المحليين. والطالب الذي يقبل في المدرسة كان يدرس الفرنسية، واليونانية القديمة، واللاتينية وتغطي له دروس حرة بالفنون⁽⁷²⁾.

وفي عام 1629م أسس رهبان الكابوشية في القسطنطينية "اسطنبول" مدرسة القديس جورجس الفرنسية، وفي نفس العام تأسست أيضًا "كوليج القديس لويس للغات" وهي للذكور، وكانت مدارس المبشرين الكاثوليك والتي أسست في القرن السابع عشر الميلادي في أرجاء الإمبراطورية العثمانية على طراز مدرسة القديس بينويت، فهناك على سبيل المثال: مدرسة القديس بيير "Saint Pierre" التي أسست في عام 1842م، ومدرسة نوتردام دي سيون الثانوية للبنات والتي أسست في عام 1839 "Notre Dame de Sion Kız Lisesi"، وكذلك كوليج القديس جوزيف "Saint Joseph Koleji" والتي أسست في عام 1864م، وأيضًا مدرسة القديس ايسبري "Saint Eprit Okulu" التي أسست في عام 1871م، إضافة إلى المدرسة الفرنسية "Immacul'ee Conception" المؤسسة في عام 1894م. وفي القرن التاسع عشر الميلادي ازداد عدد هذه المدارس بشكل كبير وملحوظ، وخاصة التي أسسها رهبان وراهبات فرنسيو

أدركوا صعوبة نشر المذهب الكاثوليكي؛ نظرًا لمقاومة المسلمين، والكنائس المحلية لأهدافهم. لذلك قاموا بتغيير أساليبهم في العمل التبشيري، وعمدوا إلى استخدام وسيلة التعليم، حتى ينشروا مبادئهم وأهدافهم الدينية، خاصة بين طلاب المدارس الابتدائية، ولا سيما أن هنالك حاجة وإقبال على التعليم، والذي من الممكن أن يقدم صورة إنسانية عن المبشر الذي شاع عنه أنه يعظ الناس لترك دينهم أو مذهبهم.

فرق المبشرون بوضوح بين المدارس التبشيرية والمدارس المسيحية، فالأولى كانت تحاول نقل الطلاب من الديانات والمذاهب الأخرى إلى المذهب الذي تتبعه، أما الثانية فكانت تحاول أن تهئ للطلاب - من أي دين أو مذهب كان - جواً مسيحياً، وتحمله فيه على ممارسة التقوى المسيحية والسلوك المسيحي على المذهب الذي تحاول جذبه إليه⁽⁶⁶⁾. وبذلك كانت المدارس أداة رئيسية في مهمة المبشر وهذا ما ذكره المبشر هنري هريس حسب قوله: "إن المدارس شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي تعد واسطة لا غاية في نفسها". وقد كان الفضل للمدارس في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة، فلم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشرون عن طريق آخر. ويرى بعضهم أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من أي قوة أخرى⁽⁶⁷⁾ لذلك اعتبر التعليم أخطر الطرق في توجيه أفكار الطلاب وفق مخططات التبشير وبرامجه، وبالتالي كان يضمن للمبشرين تنشئة أجيال صبغوا على أيدي معلمهم بالصبغة التي يريدونها. ثم إن هذا التأثير سوف يستمر بنظرهم حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم⁽⁶⁸⁾.

ولقد أنشئ الكثير من المؤسسات التعليمية المسيحية في مختلف أرجاء الولايات العثمانية، فكان هناك مؤسسات تابعة للنمسا، وإيطاليا، وفرنسا، فانتشرت المدارس الابتدائية، والمتوسطة "الإعدادية"، والثانوية، وكذلك العليا، فكانت للبنين والبنات، وكذلك انتشرت مدارس اللاهوت حيث كان يشرف عليها رجال الدين، وكان لفرنسا النصيب الأكبر في إنشاء المؤسسات التعليمية تماشيًا مع غاياتها الدينية والسياسية والثقافية، فقد كثرت المدارس الفرنسية في أرجاء الأراضي العثمانية. ولكي يكون التبشير كاملاً كان المبشرون يرون أن يتولوا هم التعليم في جميع أنواعه ودرجاته فمدارس رياض الأطفال كانت مهمة بالنسبة إليهم وذلك لأن التعليم الديني في هذه المدارس يكون له تأثير أكبر في عقول الأطفال الغضة. والذين يشرفون على رياض الأطفال يكونون أكثر إتصالاً بأهل الطلاب من الذين يشرفون على المدارس العليا. وكذلك المدارس الابتدائية تساعد على أن يتصل المبشرون بأهل

تحديد عدد هذه المدارس وأماكن تواجدها على وجه الدقة. وعلى الرغم من ذلك، وبناءً على سالنامة العثمانية 1897م "الحوليات"، فقد تم حصر عدد المؤسسات التعليمية التابعة للمبشرين الفرنسيين في الأقاليم العثمانية، فبلغ 50 مدرسة ابتدائية، و40 رشيديّة، و28 إعدادية، ومجموعهم 127 مدرسة معروفة. وقبل الحرب العالمية الأولى تراوح عدد المدارس ما بين 450 و550 مدرسة تابعة للمبشرين الفرنسيين⁽⁷⁶⁾. ومن اللافت للنظر أنه اعتبارًا من عام 1900م كانت الغالبية العظمى للمدارس تقام في الأقاليم العثمانية التي رغب المبشرون بفسلها عن الدولة العثمانية. فاشتد نشاطهم في تلك الأقاليم كسوريا، ولبنان، وفلسطين، والبلقان، وجنوب شرق الأناضول. وأيضًا كان نشاطهم ملحوظًا في الأناضول في القسطنطينية "اسطنبول"، وأزمير، وطرابزون، وأماسيا، وأيدين، وبورصة، وسيوس، وقونية، وتوكات، وأورفة، ومرعش، وإيلازغ، وأرضروم، وديار بكر، وأضنه، وغازي عنتاب. وقدم المؤلف توفيق جاودار "Tevfik Çavdar" في مؤلفه "Osmanlıların Yarı Sömürge Oluşu"، معلومات هامة عن مدارس المبشرين الفرنسيين من حيث الأعداد وأماكن التواجد⁽⁷⁷⁾. وكانت على النحو التالي:

توزيع مدارس المبشرين الكاثوليك الجزويت:

الرقم	اسم المكان	عدد المدارس	عدد الطلاب
1	سيوس "Sivas"	1	200
2	توكات "Tokat"	1	130
3	أماسيا "A masya"	2	280
4	كاره حصار "Ş.Karahisar"	2	300
5	قيصري "Kayseri"	1	600
6	أضنه "Adana"	1	200
7	بيروت "Beyrut"	7	1710
8	صيدا "Sayda"	8	1310
9	لبنان "Lübnan"	10	1630
10	حوران "Havran"	4	210

المجموع: عدد المدارس: 37 عدد الطلاب: 6565

أما رهبان الدومنيكان فقد كثفوا نشاطهم في إقليم ما بين النهرين؛ الموصل، وكركوك، وبلغ عددهم ما يقرب 7. 12 راهب وراهبة يعملون هناك وبلغ عدد طلابهم ما يقرب 500 طالب⁽⁷⁸⁾. وبالنسبة لطائفة الفرنسيسكان فكانت الراهبات تدرس البنات

الأصل وينتسبون إلى جماعات أو طوائف دينية وعلى سبيل المثال لا الحصر ظهرت: المدارس اليسوعية، والدومنيكانية، والفرنسيسكانية، واللازاريت وغيرها. وكان المعلمون من الرهبان والراهبات، وإلى جانبهم أيضًا من السكان المحليين الروم، والأرمن، والبلغار، والمارون، واستخدم أيضًا إلى جانب المعلمين الأتراك الإنجليز والألمان⁽⁷³⁾.

ولتلبية احتياجات هذه المدارس من المدرسين الملائمين لبنية المجتمع في الأقاليم الشرقية من الإمبراطورية العثمانية أسست مدارس لتدريب الكوادر من المعلمين في كل من القدس، ودمشق، ورودرس، وقيصري⁽⁷⁴⁾.

وكانت جميع مدارس المبشرين الكاثوليك تدرس المناهج الفرنسية بغض النظر عن الطائفة المنسوبة إليها. وشملت مختلف القوميات والمذاهب الدينية: فمنها الفرنسيون، والإيطاليون، واليونان، والنمسا، والألمان، والأرمن، والألبان، والبلغار، والإنجليز، ومن جورجيا كذلك. أما بالنسبة للمذهب الديني فكان هناك من: المسيحيين الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت، المذهب الجريجوري، واليهود، إضافة للمسلمين. وقد أخذ هذا التنوع القومي والديني بعين الاعتبار عند وضع المناهج الخاصة بهذه المناطق. وكان التعليم الفرنسي هو الأساس الذي قامت عليه المدارس، لتتنشئ الطلاب على غرار التربية والأفكار الفرنسية. وكان إلى جانب اللغة الفرنسية لغات أخرى تُدرس مثل: اللاتينية، واليونانية، والإنجليزية، والعبرانية، والتركية، وغيرها. وكانت البرامج في المدارس تتغير تبعًا لظروف الإقليم المتواجدة فيه. وكان يدرس في هذه المدارس: الأخلاق، التاريخ، الجغرافيا، الفيزياء، الكيمياء، والعلوم الطبيعية، الرياضيات، الفن، الموسيقى، الخط، الهندسة، علم النبات، علم المثلثات، الجيولوجيا، وغيرها من العلوم. ومعظم مدارس المبشرين الكاثوليك كانت بتمويل فرنسي. ولقد عدت أنشطة المبشرين الكاثوليك الفرنسيين في مجال التعليم هي الأكثر انتشارًا في أرجاء الإمبراطورية العثمانية، فقد كثفت أنشطتها التعليمية في الأقاليم العثمانية التي كانت تخطط وتتوي بسط سيطرتها عليها وتكون هي صاحبة الكلمة العليا فيها. لذلك كثفت أنشطتها التعليمية في جنوب شرق الأناضول، والقاهرة، وبغداد، ودمشق، وفلسطين، وركزت بشكل كبير على لبنان وسوريا حيث انتشرت الثقافة الفرنسية، وفي أواسط القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت اللغة الفرنسية لغة يتحدث بها الجميع⁽⁷⁵⁾.

ثانيًا: المؤسسات التبشيرية الكاثوليكية الخاصة بالتعليم:

أُسست الكثير من المؤسسات التابعة للمبشرين الفرنسيين الكاثوليك بدون علم أو ترخيص الإدارة العثمانية، ولهذا يصعب

في كل من دياربكر "Diyarbakır"، وإيلازيق "Elazığ"، في المدارس التالية⁽⁷⁹⁾:

في كل من دياربكر "Diyarbakır"، وإيلازيق "Elazığ"، في المدارس التالية⁽⁷⁹⁾:

الرقم	اسم المكان	عدد المدارس	عدد الطلاب
1	سامسون "Samsun"	1	غير معروف
2	طرابزون "Trabzon"	1	غير معروف
3	خربوت "Harput"	2	50
4	ملاطية "Malatya"	1	20
5	دياربكر "Diyarbakır"	1	200
6	ماردين "Mardin"	1	400

المجموع: عدد المدارس: 7 عدد الطلاب: 670

ولقد كثف المبشرون الفرنسيون الكاثوليك نشاطهم التعليمي في اسطنبول، وكانت أهم مؤسساتهم تأتي على النحو التالي:

مدارس راهبات ورهبان الفرنسيين:

- مدرسة القديسة إليزابيث المجانية في بيك أوغلو "Beyoğlu".
- مدرسة القديسة إليزابيث الداخلية في بيك أوغلو "Beyoğlu".
- مدرسة القديس أنطون الفرنسية في بيوك أضه "BüyüK ada".
- مدارس رهبان الجزويت "اليسوعيون":
- مدرسة القديس بينوا جالاتا "Galata".
- كلية اليسوعيين للذكور "Kolej Ste Pulch'erie" في بيك أوغلو "Beyoğlu".

مدارس رهبان الكابوشين:

- مدرسة القديس جورجس الفرنسية "جالاتا" "Galata".
- كلية اللغات للقديس لويس للذكور "Beyoğlu" في بيك أوغلو.
- كلية اللغات للقديس جورجس للذكور "جالاتا" "Galata".
- مدرسة القديس لويس الفرنسية للرهبان "Beyoğlu" في بيك أوغلو.

مدارس رهبان لازاريسست "Lazariste":

- كلية القديس بينونت الفرنسية للذكور "St. Benoit" "جالاتا" "Galata".

مدارس راهبات "فلز دي لا شاريت" "Filles De La Charite":

- المؤسسة الفرنسية للقديس بينويت بورفيدانس "St. Benoit Providence".
- المؤسسة الفرنسية للقديس فنسنت دي بول "St. Vincentde Paul". في تقسيم "Taksim".
- مدرسة St. Pulcherire الفرنسية الإعدادية للبنات.

- مؤسسة القديس جوزيف الفرنسية "St. Joseph" في بيبك Bebek

- مؤسسة نوتردام الفرنسية "Notre Dame de La Paix" في "شيشلي" "Şişli"

- مؤسسة القديس جوزيف الفرنسية "St. Joseph" في Çukur bostan

- المؤسسة الفرنسية للقديس فنسنت دي بول "St. Vincentde Paul". في وسكودار "Üsküdar"

- المدرسة الداخلية الفرنسية للبنات في بنغالتلي "Pangalti"

مدارس رهبان فرير "Fr'eres Des Ecoles Chreti'ennes":

- كلية القديس جوزيف للذكور "St. Joseph" في "قاضي كوي" "Kadıköy"

أما عن توزيع المبشرين الكابوشين المنسوبين إلى الفرنسيين فكان على النحو التالي⁽⁸⁰⁾:

الرقم	اسم المكان	عدد المدارس	عدد الطلاب
1	بيروت "Beyrut"	2	150
2	قاضي كوي "Kadıköy"	1	30
3	دياربكر "Diyarbakır"	1	140
4	خربوت "Harput"	3	100
5	ملاطية "Malatya"	2	60
6	ماردين "Mardin"	2	60
7	مرسين "Mersin"	1	45
8	أروفة "Urfa"	1	50

المجموع: عدد المدارس: 13 عدد الطلاب: 635

رهبان أخوة العقيدة المسيحية "Fr'eres De La Doctrine" ووجدت لهم فعاليات في طرابزون، وأرضروم، وأزمير، وكذلك في اسطنبول. فبلغ عدد الطلاب في طرابزون ما يقرب 200 طالب، وفي أرضروم كانت الغالبية العظمى من طلابهم من الكاثوليك الأرمن وبلغ عددهم 160 طالباً من الذكور، و90 طالبة من الإناث. أي أنه كان عدد الطلاب في مدارسهم 250 طالباً. وفي أزمير كان لهم 5 مدارس، وعدد طلابها بلغ 763 طالباً، وتم اعتماد اللغة الفرنسية والرومية لغةً للتدريس. وبناءً على رغبة الأهالي كان من الممكن أن يتعلموا الإنجليزية أو الإيطالية وكذلك التركية⁽⁸¹⁾.

وكان لراهبات "Filles De La Chrite" فلز دي شاريت في اسطنبول، وأزمير، وطرابزون مدارس أهمها كان في أزمير "

- كلية القديس لويس الفرنسية للذكور "St. Louis" في " حيدر باشا " Haydarpaşa
- مدرسة القديس بيير الفرنسية " St. Pierre " Galata جالاتا "
- مدرسة القديس جان بابتيست الفرنسية " St. Jean Baptiste". في تقسيم Taksim
- مدرسة القديس اسبريت للذكور الفرنسية " St. Esprit" في بنغالتي " Pangalti
- كلية القديس ميشيل " St. Michel " Beyoğlu بيك اوغلو
- مدارس راهبات نوتردام " Notre Dame De Sion "**
- مدرسة نوتردام الثانوية الفرنسية للبنات في بنغالتي " Pangalti
- مدرسة القديس اسبريت الفرنسية للبنات " St. Esprit" في بنغالتي " Pangalti
- مدرسة نوتردام الثانوية الفرنسية للبنات في " قاضي كوي " Kadıköy
- مدرسة نوتردام الابتدائية الفرنسية "في قاضي كوي " Kadıköy
- مدارس راهبات "Soeurs Oblates De L'Assomption :**
- مدرسة القديس "St.Jeanne d'Arc" سانت جين أرك الفرنسية " كوم كابي "kumKapi"
- مدرسة القديس Euphemie الفرنسية حيدر باشا " Haydarpaşa
- مدرسة ايرينا الفرنسية "St. Irenne" فناربخشة "Fenar bahçe"
- مدرسة راهبات " P'eres Augustine DeL'Assomption":
- كلية اميشن "Assomption" الفرنسية.
- مدارس راهبات فرير مارسيست "r'eres Maristes F":**
- كلية Immaculee Conception. مدرسة ايرينا الفرنسية " في وسكودار Üsküdar
- مدرسة القديس غابرييل الفرنسية "St. Gabriel" في بيبيك Bebek
- كلية نوتردام الفرنسية Notre Dame Du Rosaire " باكير كوي " Bakırköy
- مدرسة " كويور الفرنسية "Sacre Coeur" يشل كوي " Yeşel köy
- مدرسة القديس ثيودور الفرنسية " St. Theodore" في يدي كوله " Yedi kule"
- مدارس راهبات نوتردام لورديس " Notre Dame le Lourdes "**
- مدرسة Immaculee Conception de N.D. de Lourdes الفرنسية⁽⁸³⁾.
- وكان إنشاء هذه المؤسسات التعليمية الفرنسية التي سبق ذكرها في القرن التاسع عشر على النحو التالي:⁽⁸⁴⁾

الرقم	تاريخ الانشاء	اسم المدرسة	المنشئ
1	1803م	كلية القديس بينونت الفرنسية "جالاتا" للذكور "Galata St. Benoit"	لازاريس "Lazarist"
2	1839م	المؤسسة الفرنسية للقديس بينويت بورفيدانيس	" فلز دي لا شاريت"
3	1842م	مدرسة القديس بيير الفرنسية للبنات " جالاتا "	فرير "Fr'ere"
4	1844م	مدرسة نوتردام الفرنسية الثانوية للبنات " بنغالتي "	فلز دي لا شاريت
5	1846م	مدرسة القديس Puch'erie الاعدادية للبنات	الجزويت
6	1853م	مؤسسة القديس فنسنت دي بول الفرنسية "St. Vincent de Paul"	فلز دي لاشاريت
7	1853م	مؤسسة القديس جوزيف الفرنسية "St. Joseph"	فلز دي لاشاريت
8	1857م	مؤسسة نوتردام الفرنسية Notre Dame de la Paix	فلز دي لاشاريت
9	1864م	كلية اليسوعيين للذكور Pulch'erie	الجزويت
10	1870م	كلية القديس جوزيف للذكور St.Joseph	فرير "Fr'ere"
11	1870م	كلية القديس جوزيف الفرنسية	فرير "Fr'ere"
12	1870م	مدرسة القديس جان بابتيست الفرنسية	فرير
13	1870م	كلية القديس ميشيل " St. Michel "	فرير
14	1871م	مدرسة القديس اسبريت للذكور الفرنسية	فرير
15	1871م	مدرسة القديس اسبريت الفرنسية للبنات	راهبات نوتردام
16	1872م	مدرسة القديسة اليزابيث الداخلية	راهبات الفرنسيسكان
17	1872م	مدرسة القديسة اليزابيث المجانية	راهبات الفرنسيسكان
18	1878م	مدرسة فرير الابتدائية للذكور	فرير
19	1882م	مدرسة القديس لويس الفرنسية للرهبان	الكابوشيين
20	1882م	مدرسة سانت جين أرك الفرنسية	راهبات اميشن "Assomption"

21	1883م	مدرسة القديس أنطوان الفرنسية	راهبات الفرنسيسكان
22	1883م	كلية امسيشن "Assomption" الفرنسية	رهبان امسيشن
23	1886م	مدرسة ايرينا الفرنسية "St. Irenne"	راهبات امسيشن
24	1894م	كلية Immacul'ee Conception	فريير ماريست
25	1895م	مدرسة القديس Euphemie الفرنسية	راهبات امسيشن
26	1896م	كلية القديس Jean Chrysostome الفرنسية	فريير
27	1896م	مدرسة القديس غابرييل الفرنسية	فريير
28	1898م	كلية القديس لويس الفرنسية للذكور	فريير

المبحث الثالث

انعكاسات النشاط التبشيري على الدولة العثمانية

أولاً: موقف الإدارة العثمانية من محاولات التبشير

كانت الدولة العثمانية تتعامل مع رعاياها من أهل الذمة بالاعتماد على الأسس الإسلامية والسياسة المتبعة في الإسلام للتعامل مع أهل الذمة، لذا كان من الطبيعي أن تعامل المسلمين وغير المسلمين معاملة واحدة حسب ما نظمته الشرع الإسلامي، فطبقت عليهم عهود أهل الذمة⁽⁸⁵⁾.

وكانت أحوال المسيحيين الموجودين في ولايات الإمبراطورية العثمانية أفضل حالاً مما كان عليه المسيحيون الموجودون في بعض الدول الأوروبية، إذ أن المسلمين والمسيحيين استطاعوا أن يعيشوا جنباً إلى جنب بدرجة كبيرة من الهدوء والسكينة، بعكس الشعوب المسيحية في أوروبا التي عاشت مرحلة تصادم ديني، ويعزى هذا الأمر إلى التسامح الديني النابع من الشرع الإسلامي والذي تميزت به الدولة العثمانية.

ولم تقف الحكومة العثمانية ضد نشاط المبشرين الكاثوليك إلا عندما كانت الدولة في عز قوتها فقد عارضت الدولة آنذاك تحويل رعاياها من الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية، إضافة إلى أن تلك البعثات لم تكن تجسر على القيام بنشاطها التبشيري في وسط المسلمين بالصورة التي حدثت في المراحل التي اتسمت الدولة خلالها بالضعف، ومن الملفت للانتباه أن موقف علماء المسلمين من النشاط التبشيري كان سلبياً، باعتبار أنه لم يكن موجهاً لهم بصورة مباشرة، ولم يرد بخلدهم أنهم سوف يتعرضون بعد ذلك لنشاط البعثات التبشيرية الكاثوليكية وغيرها بكثافة في وسطهم الإسلامي⁽⁸⁶⁾.

لقد عانت الإمبراطورية العثمانية منذ القرن الثامن عشر الميلادي بالضعف الذي ضرب كافة مناحي الحياة، وبدأت الدولة العثمانية بمحاولات إصلاحية وتنظيمات في الدولة نتيجة للهزائم العسكرية التي أجبرتها على تقديم تنازلات للدول

الأوروبية، وفي القرن التاسع عشر الميلادي، ازداد ضعف الدولة العثمانية، وفي المقابل زاد نشاط البعثات التبشيرية في مختلف طوائفها ولاسيما الكاثوليكية، وخصوصاً بعد مرحلة التنظيمات العثمانية 1839-1856م التي أجبرت على إصدارها والتي لم تعد الدولة قادرة بعدها على الوقوف في وجههم، إلا أنها في نفس الوقت لم تكن لترضى الوقوف ساكنة أمام نشاطهم خصوصاً بعد أن بدأوا في تكثيف عملهم بين المسلمين.

وتقسم التنظيمات إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: بدأت بشكل غير رسمي على يد السلطان سليم الثالث (1789م-1807م) وقد مهدت هذه المرحلة إلى المرحلة الثانية من عهد التنظيمات التي جاءت بشكل رسمي وقانوني، وهذه المرحلة الأولى انتهت بالإطاحة بالسلطان سليم الثالث.

- المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي بدأت بها التنظيمات بشكل رسمي، وكان لها الأثر الأكبر في التبشير سواء على نشاطات المبشرين الكاثوليك أو مبشري الطوائف الأخرى في مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية. وبدأت هذه المرحلة بخط شريف كلخانة 1839م، ثم خط شريف همايون 1856م، وانتهت بالدستور العثماني في عام 1876م⁽⁸⁷⁾.

ونص خط شريف كلخانة 1839م على بنود كانت لصالح المبشرين عموماً، إذ أعلنت المساواة لأول مرة بين كافة الطوائف في الدولة العثمانية، وكذلك أعلنت الحرية العامة وحرية الممتلكات وحرية الأشخاص دون النظر للمعتقد الديني، كما نص على أحقية غير المسلمين من أهل الذمة في ترميم كنائسهم ومقابرهم حسب هيكنتها الأصلية، وإجراء الحريات الدينية الكاملة، وحذف كل الألفاظ والتميزات التي كانت تستخدم في الكتابات الرسمية وتميز صنف على صنف آخر من الناس لاختلاف دينهم⁽⁸⁸⁾. وأشار محمد أنيس إلى أن هذه التنظيمات تدور حول ثلاث نقاط مهمة وهي: الأخذ عن الغرب

التنظيمات كان انتقاصا من حقوقهم، وخروج على عهد الذمة. وهو ما أعطى للدول الأوروبية الفرصة للتدخل لحماية المسيحيين وبالتالي تأمين الحماية اللازمة للمبشرين، وضمان الأمان والحرية لهم وإن كانت بغير قصد إلا أنها أتت نتائجها الكاملة للمبشرين. وارتبط بهذه التنظيمات الامتيازات التي قدمتها الحكومة العثمانية للدول الأوروبية، واستفادت منها الغالبية العظمى من المبشرين، فعلى سبيل المثال: منح الأجانب المقيمين في الدولة العثمانية حق الملكية فقد نص على ذلك تنظيمات خط همايون 1856م. وفي عام 1869م صدر فرمان بأحقية تملك الأجانب في أرجاء ولايات الدولة باستثناء الحجاز⁽⁹³⁾.

وعلى الرغم من ذلك كانت الحكومة العثمانية تغض الطرف عن العديد من الشكاوى التي تصل إليها لمخالفة التنظيمات بل ربما كانت تقوم بشكل خفي على تخويف الأجانب والمبشرين من الاستمرار في نشاطاتهم التبشيرية⁽⁹⁴⁾.

وعمدت الحكومة العثمانية على وضع العرقييل أمام إنشاء المؤسسات التعليمية التبشيرية - وعلى وجه الخصوص المدارس الفرنسية- فوضعت قانون عرف بنظام إدارة المعارف ظهر في سنة 1869م، ووضع هذا القانون عدد من الشروط لا بد من توافرها قبل إنشاء المدرسة ومنها:

- يجب الحصول على رخصة رسمية من إدارة المعارف والوالي قبل فتح المدرسة.
- يجب عرض جداول الدروس وكتب التعليم على إدارة المعارف كي لا تدرس في هذه المدارس دروس مغايرة للأداب والسياسة.
- وبمقتضى هذا القانون راقبت الحكومة العثمانية مناهج الدراسة في المدارس التبشيرية، وكانت المدارس ترسل قائمة من الكتب التي تدرس في مدارسها في الولايات العثمانية امتثالاً لهذا القانون⁽⁹⁵⁾.

وعندما صدر الدستور العثماني في سنة 1876م جاء في المادة رقم 129: التأكيد على ما جاء في قانون 1869م بضرورة الحصول على رخصة من إدارة المعارف. وعلى الرغم من ذلك فقد كان عن طريق الامتيازات - والتي كانت ضد قانون 1869م - يمكن الحصول على رخص أو حتى دون إذن من الحكومة العثمانية يتم إنشاء المدارس التبشيرية⁽⁹⁶⁾. ومع ذلك كانت الحكومة العثمانية تحاول إيجاد وسيلة لوضع العرقييل أمامهم فمثلاً كانت ترسل لموظفيها بعدم إعطاء التسهيلات للمبشرين والوقوف في وجوههم، وكذلك كانت تجشع التعليم الحكومي للوقوف في وجه مدارس المبشرين في مختلف أرجاء الدولة العثمانية.

تنظيمات الجيش وتسليحه وكذلك نظم الإدارة والحكم. والاتجاه بالمجتمع نحو التشكيل العلماني والخروج عن التنظيم الإسلامي للدولة والمجتمع، ثم الاتجاه نحو مركزية السلطة في "القسطنطينية" والولايات⁸⁹. وهنا كان الإعلان الرسمي عن بداية تحول قوانين الدولة للمنهج العلماني الأوروبي وبدأ بذلك إلغاء التمييز بين الطوائف وكان هذا بمثابة تقدم كبير لصالح المسيحيين الذين اتجهت أنظارهم تماماً نحو أوروبا لمزيد من التدخل لتنفيذ الإصلاحات بدلا من تطلعهم للدولة نفسها⁽⁹⁰⁾.

لقد وقع التناقض في هذا الخط ما بين القديم والجديد وعدم القدرة التامة على المزج بينهما فقد نص على أن: "يعلم العالم كله بأن التعاليم القرآنية الجليلة وقوانين الإمبراطورية كانت قواعد محترمة في السنوات الأولى وبهذا تزايدت قوة وسطوة الدولة وتمتع جميع رعاياها دون استثناء بأقصى الرفاهة والنعيم". وكان السلطان عبد المجيد (1839-1861م) قد وقع على الوثيقة مجبراً ولذلك كان كلما اتاحت له الفرصة يعمل كل ما في وسعه لعرقلة تنفيذها⁽⁹¹⁾.

وبعد فترة أعلن خط شريف همايون، وأقر السلطان عبد المجيد في خط همايون سنة 1856م، المبادئ التي وردت في خط كلخانة 1839م، وأكد على مبدأ المساواة لكافة رعاياه. وكانت أهم النقاط الواردة:

- إقرار امتيازات الطوائف غير الإسلامية بعد إعادة النظر في تنظيماتها على أن تتقدم كل طائفة للباب العالي بمقترحات الإصلاح، وإعطاء هذه الطوائف حرية ممارسة شعائرها الدينية وبناء معابدها.
- إعطائهم حق إلحاق أبنائهم بالمدارس الحكومية والعسكرية والمدنية بشرط أن يستوفوا الشروط المطلوبة للقبول بهذه المدارس.
- تأكيد حق الدولة في تجنيد المسيحيين للخدمة العسكرية مع تخويلهم الحق في دفع البديل النقدي للإعفاء من الخدمة.

- ولم يعد من الممكن إجبار المسلمين الذين يعتقدون المسيحية على الارتداد عنها⁽⁹²⁾.

وهكذا لعبت التنظيمات العثمانية دوراً كبيراً في تشجيع التبشير؛ وذلك بمنح المبشرين الحرية الكاملة في نشر أفكارهم الدينية والترويج لها، وكان قمة الامتيازات التي حصلوا عليها الذي حصلوا عليه هو في خط همايون في عدم تطبيق الردة وإبطاله، وهذا في حد ذاته كفل للمبشرين الأمان اللازم لممارسة أعمالهم، في الوقت الذي لانغفل فيه الأثر السلبي كذلك في ازدياد حدة التوتر بين المسلمين والمسيحيين لأن المسلمين اعتبروا أن الامتيازات التي حصل عليها المسيحيون بموجب

الكاثوليكية وأكدت على تمتين الصلات بالدولة العثمانية، وكان لها دور فعال في تغلغل المؤسسات التعليمية التبشيرية الفرنسية داخل المجتمع العثماني بشكل يتناسب مع غاياتها ولا سيما الأهداف التي كانت تبتغيها من وراء حمايتها للأقليات المسيحية في مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية. ثم بدأ النفوذ البروتستانتي في الظهور في القرن التاسع عشر الميلادي وكان الكاثوليك والأرثوذكس يضعون أنفسهم في صراع مع البروتستانت، وفي نفس الوقت كان الكاثوليك يضعون أنفسهم في مواجهة مع الأرثوذكس، وبذلك بدت الإمبراطورية العثمانية وكأنها تمثل ساحة صراع مفتوحة لنفوذ هذه القوى الثلاث.

3- حدوث الانقسامات المذهبية:

كما يمكن أن نلاحظ أيضاً أن النشاط التبشيري أدى إلى انقسامات مذهبية بين رعايا الإمبراطورية العثمانية فصار لدينا الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والروم البروتستانت، والأرمن الأرثوذكس، والأرمن الكاثوليك، والأرمن البروتستانت، وكل كنيسة تحاول أن تحصل على الاعتراف الرسمي بها من الدولة كطائفة جديدة ويقف وراءها دولة أوروبية تدعم مطالبها بالاستقلال⁽¹⁰⁰⁾.

4- انتشار المذاهب الفلسفية الحديثة:

إضافة إلى ما سبق نلاحظ أن المؤسسات التعليمية التبشيرية عموماً والفرنسية الكاثوليكية على وجه الخصوص عملت على نشر أو بذر الفكر القومي والمذاهب الفلسفية الحديثة والأفكار العلمانية التي لم تكن معروفة من قبل في ولايات الإمبراطورية العثمانية؛ ففي الولايات العربية التابعة للدولة روجت للفكر القومي العربي، وتسلم المسيحيون العرب قيادة الفكرة القومية العربية في تلك الولايات. وروجت أيضاً للأفكار الإقليمية والقومية الأخرى لا سيما بين الأرمن، والأكراد وغيرهم من رعايا الإمبراطورية العثمانية ومن ثم زرع فكرة فصلهم عنها وتفكيك الدولة حتى يسهل القضاء عليها وتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية ضد الإمبراطورية العثمانية.

وفي ذلك قال جبران خليل جبران: "في سوريا مثلاً كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة وقد كنا ولم نزل نلثم خبز الصدقة لأننا جياع متضورين ولقد أحياناً ذلك الخبز ولما أحياناً أماتنا. أحياناً لأنه أيقظ جميع مداركنا ونبه عقولنا قليلاً قليلاً وأماتنا لأنه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة من مستعمرات صغيرة مختلفة الأذواق متضاربة المشارب، كل مستعمرة منها تشد في حبل إحدى الأمم الغربية وترفع لواءها وتتغنى بمحاسنها وأمجادها، فالشاب الذي تناول لقمة من العلم

وبعد الانقلاب العثماني في عام 1908م وسيطرة الاتحاد والترقي على الدولة سعت الحكومة العثمانية إلى إرضاء الطوائف ومنحها امتيازات كانت أغلبها موجودة من قبل، وإن كان الاتحاديون أضافوا عليها بعض البنود ومنها:

- يحق لكل طائفة انتخاب رئيسها من بينها ما عدا كنيسة اللاتين وبعد الانتخاب يعطى الرئيس المنتخب ورقة البراءة (التكليف)، ويتم تعيين الرؤساء الثانويين من قبل الرئيس المنتخب.
- كل طائفة حرة بإجراء المراسم الدينية الخاصة بها كما تشاء.
- يحق لهم تأسيس المدارس وفقاً لمنهاج نظارة المعارف، والرخصة تكون باسم الرئيس، والتدريس يكون بلغاتهم الخاصة.
- للطوائف حق إدارة الكنائس والمستشفيات ودور الأيتام الموجودة بدون تدخل.
- ومن الملفت للنظر أن الاتحاد والترقي كانوا يمنحون الطوائف المسيحية الامتيازات كسباً لود الدول الأوروبية⁽⁹⁷⁾.
- وقد وضعت جميع المدارس التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية وغيرها من المدارس التبشيرية الأخرى تحت مراقبة الدولة حيث أصدرت بعد عام 1924م قوانين وبيانات متعددة تنص على أن جميع المدارس التبشيرية الأجنبية وكل ما يتعلق بها يوضع تحت مراقبة وإشراف الدولة⁽⁹⁸⁾.

ثانياً: النتائج المترتبة على نشاطات المبشرين الكاثوليك:

يمكن رصد أهم النتائج التي نتجت عن نشاطات المبشرين الكاثوليك في ولايات الإمبراطورية العثمانية في النقاط الآتية:

1- اثاره القلائل والفتن الطائفية:
كان لمجيء البعثات التبشيرية الكاثوليكية أثر في إذكاء القلائل والفتن الطائفية بين رعايا الدولة العثمانية، وتعد أزمة لبنان إحدى نماذج إثارة الفتن الطائفية والتي بدأت في سنة 1840م بين الدروز اللذين كانوا تحت الحماية الإنجليزية وبين الموارنة اللذين كانوا بحماية الفرنسيين وعادت هذه الفتنة مرة أخرى لتتأجج بينهم في سنة 1860م⁽⁹⁹⁾.

2- ازدياد المنافسة بين البعثات التبشيرية:

ويمكن أيضاً رصد اثر آخر، رافق تعاظم ضعف الإمبراطورية العثمانية وهو ازدياد المنافسة الحادة بين البعثات التبشيرية، خاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار قوة النفوذ الكاثوليكي داخل الإمبراطورية العثمانية ولا سيما العلاقة الفرنسية العثمانية التي بدأت سنة 1535م، وفي ضوء معاهدة الامتيازات التي استثمرت بنودها لصالح فرنسا والمسيحية

فرنسا والشباب الذي لبس قميصاً من نسيج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسية...»⁽¹⁰¹⁾.

في مدرسة أمريكية قد تحول بالطبع إلى معتمد أميركي والشباب الذي تجزع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفير

الهوامش

- (23) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص1-2. سيشار إليه: العلام، عصر التجارة والامتيازات.
- (24) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص2. المرجع نفسه.
- (25) OsmanErgün, Türk Maarif Tarihi, C1-2, İstanbul 1972, s.811, Erdal Açıkse, Osmanlı Devleti'ndeki, Misyonerlik Faaliyetleriile ilgili Bir Derlendirme, C.2, yeni türkiye yayımları, Ankara1999, s.193
- (26) Şamil Mutlu, Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okullara, İstanbul 2005, s.138
- (27) Nahid Dinçer, YabancıOkullar, İstanbul1978,s.29-31
- (28) هي رهينة أسسها الراهب فرانسيس الأسيزي " St.Francis of Assisi" الذي ولد في أوميريا في وسط إيطاليا في عام 1182م، وقد كرس فرانسيس ذاته منذ حداثة سنه لخدمة الله والبشرية. فاجتمع حوله ميكراً بضعة تلاميذ وشكل معهم رهبانية الأخوة الصغار، أو المينوريت وهو الاسم الأول لرهينة الفرنسيسكان. وكانت أهم نذور هذه الرهينة: الفقر التام، أي عدم القيام بأي عمل يجلب المردود المالي والمادي، والنذر الثاني هو التعفف، إضافة للتواضع، والطاعة، وكذلك أن يقدم الرهبان كل أعمالهم الخيرية للناس مجاناً، ولو جهه الله فقط، وتسمى الرهبانيات المسيحية التي تعتمد هذا النذر بالرهبانيات الفقيرة "Mendicant Friars". توفي فرانسيس سنة 1226م. وقد اعتبرت الرهينة الفرنسيسكانية أهم وأكبر الرهبانيات الكاثوليكية في العالم. رستم، سعد، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم - دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية-، ص113.111، وسيشار إليه: رستم، الفرق والمذاهب المسيحية.
- (29) أسسها القديس الإسباني دومينيك في عام 1215م، في أوسما من اسبانيا، وتأسست في وقت واحد مع الرهينة الفرنسيسكانية، وكان دومينيك (1170 . 1221م) ذا علم ومعرفة بالقوانين والعقيدة. وقد بدأت هذه الرهينة نشاطها في مدينة تولوز بفرنسا، وكانت أول رهينة كاثوليكية تأخذ على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية. وبالإجمال كانت رهبانية الدومينيك قريبة جداً من الفرنسيسكان. رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص 113. 115.
- (30) رهينة الكبوشيين، وهي عبارة عن فرع من الفرنسيسكان، ظهرت في سنة 1528م، حيث أقام الكبوشيون قانون فرانسيسك الأولي، وأدخلوا في طريقتهم شكل حياة تقشفية
- (1) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، 1979، مادة بشر
- (2) سورة البقرة، آية 25
- (3) سورة الجاثية، آية 8/7
- (4) نعيم، الجذور التاريخية لارساليات التنصير الأجنبية في مصر، ص13. وسيشار إليه: نعيم، الجذور التاريخية لارساليات التنصير الأجنبية في مصر.
- (5) انجيل متى اصحاح 18،19،20.
- (6) انجيل مرقس، الاصحاح، 16.
- (7) اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص109. وسيشار إليه: اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار.
- (8) Ayten Sezer; Osmanlı Döneminde Misyonerlik faaliyetler; Yeni Türkiye Yayınları; Ankara;1999;s181.
- (9) Süleymenbüyükkarıcı, osmanlıdevletive cumhuriyet türkiye'sinde. yabancıokullar, selçuküniversitesiy Yayınlarıkonya 1996, s, 10.
- (10) Nuretten polvan,türkiye'de yabancı öğretim, c.1, millieğitim bakanlığı. yayımları, istanbul, 1952, s, 66
- (11) Polvan, 67-70.
- (12) رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ص 113. وسيشار إليه: رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية.
- (13) Polvan,s,73
- (14) Polvan,s,78-79
- (15) Halit Ertuğrul,kültürümüzüEtkileyen Okullar,nesil yayımları, istanbul,2002,s.59
- (16) Polvan,s.92
- (17) Adnan şıman, misyonerlikve osmanlı devletindeson,s. 173
- (18) Hidayet Vahapoğlu, Osmanlıdan Günümüze Azınlık ve yabancı okulları, Boğaziçi yayımları, istanbul 1992, s.26
- (19) Arslantürk,s.386
- (20) Dinçer,s.35-36-37
- (21) Ertuğrul,s.59
- (22) Ertuğrul,s. 59

فرنسا، ولهذا السبب دعيت بلازارست. انظر: رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص205، Nurettin Polvan, Türkiye 'de Yabancı Öğretim, c.1, Milli Eğitim Bakanlığı Yayınları, İstanbul 1952, s. 104

(36) أسست من قبل القديس فانسون دي بول، عام 1834م، بمساعدة الراهبة Legras، وغايتها تنشئة راهبات للقيام بالأعمال الخيرية والتعليمية. Polvan, s. 109.

(37) فرeres des Ecoles Cheretienes، أسست من قبل الراهب جان بابتيست دي لاسال "Jean Babiste De La Salie" في عام 1680م،، وهدفها فقط تعليم الاطفال.

(38) جمعية نوتردام دي سيون، "Notre Dame de Sion"، أسسها القسيس ثيودور راتيسون "Theodore Ratisbonne" في عام 1842م أو 1843م من أصل يهودي، اعتنق المسيحية في ريعان الشباب وشغل منصب معاون الاسقف وهدف الجمعية العمل على نشر المسيحية بين اليهود، وتعليم العقيدة المسيحية للذين قبلوا المسيحية. ومن بين نشاطاتها إقامة مدارس داخلية للفتيات " للمبيت"، ودور للفتيات الايتام، وفتح ورش عمل للفتيات الفقيرات. Polvan, s. 114.

(39) راهبات ورهبان الكاثوليك الجورجية، في فترة حكم روسيا القيصرية، لم يسمح للكاثوليك في جورجيا من فتح دير أو كنيسة لهم، وبسبب ذلك قدم القسيس بيرو " Hariscirant P'ere" الكاثوليكي الى استنبول، وانشأ في منطقة " Feriköy"، كنيسة ودير.

فتح مركزا لتعليم واعداد رجال دين كاثوليك لارسالهم الى جورجيا، وايضا العمل على تنشئة مجموعة من الجورجيين المتعاطفين مع العثمانيين. ومدة الدراسة في هذا المركز خمسة سنوات للطلاب القادمين من جورجيا، ومارس هذا المركز نشاطة فيما بين السنوات 1861. 1914م، وكان عدد الطلاب يقارب 600. 700 طالب. والطلاب العاديين الى جورجيا يعد انمام دراستهم، والذين يريدون ان يصبحوا قساوسة يرسلوا الى فرنسا او ايطاليا لاتمام دراستهم الدينية. Polvan, s.114-115, İlknur Polathaydaroglu, Osmanlı İmparatorluğu'nde Yabancı Okullar, Ocak Yayınları, Ankara, 1993, s. 184

(40) اسست في مدينة ليون في فرنسا عام 1816م، وعرفت اعضاءها الجمعية باسم "Maristes" او "Fr'eres Maristes". Polvan, s. 122

(41) جمعية رهبان وراهبات "Assomption"، أسسها P'ere D'alzon، في مدينة نيمس في فرنسا، وهدفها: تقديس اعضاءها، والوعظ في فرنسا وغيرها من الدول، اضافة الى نشاطاتها من الوعظ والاعمال التعليمية والروحانية، فقد اضافوا لها الصحافة المطبوعة وهي اكثر الوسائل فعالية وتأثيرا. واصدروا صحيفة La Croix، وتمكنوا من يكون لهم تأثير كبير في فرنسا. Polvan, s.118-119.

(42) اسست في مدينة ليون في فرنسا عام 1816م، وعرفت

صارمة وبما أنهم لم يهتموا بالثقافة فكانوا يختلطون . بشكل خاص . بطبقات المجتمع الأدنى، ويثون فيهم . مع الخرافات- احترام كنيسة روما. وقبل وفاة مؤسس الرهبانية الفرنسييسكانية عام 1226م، انقسمت الرهبانية عام 1525م على نفسها، حيث نشأت الرهبنة الكبوشية بوصفها حركة إصلاحية ضمن نطاق الفرنسييسكانية، ثم استقلت الكبوشية عن الفرنسييسكانية نهائيًا عام 1619م. رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص112، 205.

(32) أسس جمعية اليسوعيون شخص إسباني هو أغناطيوس لويولا " St. Ignatius of Loyola"، والذي ولد في جيبيوزكوا Guipuzcoa في مملكة الكاستيل Castile، وكان ذا ميول بطولية، دخل الخدمة العسكرية، وفي أثناء الدفاع عن بامبلونا، التي حاصرها الفرنسيون، أصيب إصابة بالغة، وبقي مدة طويلة تحت المعالجة. وفي أثناء مرضه تمكن من قراءة سيرة الراهب دومينيك، والراهب فرنسيسك، فأعجب بهج حياتهما، لدرجة أدت به لأن يقرر اتباع هذا النهج. وبعدها قرر لويولا أن يؤسس جمعية خاصة، ورتب مع رفاقه أسسها. وفضلاً عن النذور الرهبانية السابقة: الفقر والعفة والطاعة، وضعوا على أنفسهم نذرًا هو الطاعة المطلقة للبابا، وأوجبوا على أنفسهم إتمام كل ما يأمرهم به، والتوجه حسب ارشاداته إلى أي مكان يرسلهم إليه دون تردد. رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص204.198.

(33) Obzervan، Observant، تشكل فرعًا من فروع الرهبان الفرنسييسكان، وعرفت أيضا باسم رهبان " Freres Mineurs Observants".

(34) ازدهرت رهبنة الفياننت قرب مدينة تولوز جنوب فرنسا، أسسها الراهب جان دي لا باريير "Jean de la Barriere"، عام 1577م، كحركة اصلاحية، وفي عام 1592 م، اعتبر البابا كليمنت الثامن اخوية الفياننت جماعة منفصلة قائمة بذاتها. يعيش رهبان الفياننت على وجبة تتألف من الخبز والماء وخضروات الفصل، مع الملح فحسب. فهم نباتيون لا يتعاطون اللحوم، ولا يملكون اي اثاث، وكانوا تحت اشراف باريير يمضون حياتهم بصمت، وبالصلوات والعمل اليدوي، وبعد حياة المؤسس، توسعت نشاطاتهم لتشمل اعمالا ثقافية واسقفية ارشادية. ازدهرت الفياننت في فرنسا، وانتشرت في ايطاليا. ثم انقسمت . عام 1630 م . الى فرعين فرنسي وايطالي، اخذ القسم الايطالي اسم اخوية البرنارديين المصلحة "Reformed Bernardines". راجع المصدر السابق، سعد رستم، ص205. 206

(35) رهبنة العازاريين والكنهنة المبشرين " The Order of the Lazarists" أسسها في فرنسا القديس الفرنسي فانسون دي بول " Saint Vincent de Paul" (1581. 1660)، مؤسس جمعية التبشير "Congregation of the Mission"، وكانت غايتها وعظ السكان في القرى وتهذيبهم دينيًا وأدبياً، وفي عام 1632م نقل مركز الجمعية إلى قسبة لازارست في

- اعضاءها الجمعية باسم "Freres Maristes او Maristes". Polvan, s. 122.
- (43) حسب المذهب الكاثوليكي، مريم العذراء، بريئة من الشهوة، ومن الخطيئة الاصلية، ومن كل خطيئة، وقد اعلن مجمع الثلاثين " 1545. 1563" براءتها الكاملة، وطهارتها التامة، ووضعها فوق كل القديسين، وكرس حقها في نوع من التبعيدالخاص، وقد ادخلت عقيدة الحبل بلا دنس، التي تبرى السيدة مريم من الخطيئة الاصلية في عام 1854م. واعتبارا من هذا التاريخ اخذ اسم راهبات بلا دنس او راهبات العذراء الطاهرة. سعد رستم، ص 73.
- (44) جمعية رهبان القديس ساليس "Sales" أسسها الراهب الإيطالي الكاتب Dom Bosco سنة 1857م، وأهداف هذه الجمعية مساعدة الفقراء والأيتام، وجمع الأطفال وتنشئتهم كمزارعين وصناع، Polvan,s. 123.
- (45) Polvan, s.64.
- (46) Dinçer,s. 24.
- (47) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص7.6.
- (48) Dinçer,s.39.
- (49) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص7.
- (50) polvan, s.118-121.
- (51) Polvan, s. 106-107.
- (52) Dinçer, s.40.
- (53) Polvan, s.118- 121.
- (54) Polvan, s.118-121.
- (55) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص5.
- (56) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص5؛ Polvan, s118- 121.
- (57) الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص 225، وسيشار إليه: الحويري، تاريخ الدولة العثمانية؛ عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام "1834م . 1914م"، ص 27، 64، وسيشار إليه: عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام؛ نصيرات، فدوى أحمد، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر " 1840م . 1918م"، ص 11. 14، وسيشار إليه: نصيرات، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر.
- (58) بدأ مصطلح الأقليات يظهر في لغة السياسة الأوروبية وبالذات كمصطلح خاص في القانون الدولي خلال القرن التاسع عشر بمناسبة تدخل الدول العظمى وقتئذ في شؤون الإمبراطورية العثمانية بحجة حماية رعاياها المسيحيين. للمزيد انظر: هويدي، فهمي، مواطنون لا ذميون- موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين، ص42، وسيشار إليه: هويدي، مواطنون لا ذميون.
- (59) حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م. 1908م/ 1هـ . 1325هـ)، ص273- 275، وسيشار إليه: حبيب،
- الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية. (60) مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص 12، وسيشار إليه: مانتران، تاريخ الدولة العثمانية.
- (61) EnverZiyaKaral, Osmanlı Tarihi, C.6, T.T.K.Yaymevi,Ankara1988,s.268
- (62) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص6.
- (63) خالد، وفروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية - عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي-، ص132، وسيشار إليه: خالد وفروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية.
- (64) الحويري، تاريخ الدولة العثمانية، ص232. 234، Polvan, 62-63.
- (65) العلام، عصر التجارة والامتيازات، ص2. 3؛ خالد وفروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص132. 134.
- (66) خالد وفروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص68.67.
- (67) خالد وفروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص67- 71.
- (68) خالد وفروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص67؛ عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص111.
- (69) خالد وفروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص79. 78.
- (70) الحويري، تاريخ الدولة العثمانية، ص232. 233.
- (71) Kenan Okan, Türkiye 'de Yabancı Okullar Üzerine Bir İnceleme, Milli Eğitim Bakanlığı, Ankara, s1.,Polvan, s. 146.
- (72) Polvan, s. 147.
- (73) Şamil Mutlu, Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okulları, s.148.
- (74) Şamil Mutlu, s148.
- (75) Nahid Dinçer, Yabancı Özel Okullar, s.43, عصر التجارة والامتيازات، ص6.
- (76) Ayten Sezer, Osmanlı Döneminde Misyonerlik Faaliyetleri, Omanlı Ansiklppedisi,C.2, yeni TürkiyeYayınları, Ankara 1999, s. 185.
- (77) Tefvik Çavdar, Osmanlı Yarı Sömürge Oluşu, İstanbul, 1970, s. 91.
- (78) Tefvik Çavdar,s90.
- (79) Tefvik Çavdar,s. 91-92.
- (80) Çavdar,s. 89.
- (81) Çavdar, s. 90- 91.
- (82) Çavdar, 93.
- (83) Haydaroğlu s. 105- 106, Polvan, s. 136 – 229.
- (84) Haydaroğlu, s.107, Polvan,s.136- 229.

- (85) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 267
- (86) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 268
- (87) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، 273.
- (88) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 274؛ حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، ص 427-429.
- (89) أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914)، ص 200.
- (90) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 274-275.
- (91) حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، ص 428؛ عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 275.
- (92) حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، ص 431-433.
- (93) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 278-281.
- (94) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 279.
- (95) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 284.
- (96) عبد الرازق، التنصير الأمريكي في بلاد الشام، ص 284.
- (97) المرجع السابق، عبد الرازق، ص 289.
- (98) SüleymanBüyükkaracı, Osmanlı Devletive Cumhuriyet Türkiye'sinde YabancıOkullar, Konya 1996, s.75.
- (99) كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، ص 441-440.
- (100) كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، ص 443.
- (101) حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، ص 444-445.

المصادر والمراجع

- في مصر، مكتبة المختار الإسلامي، القاهرة.
- نصيرات، فدوى أحمد محمود، 2009، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (1840م . 1918م)، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت.
- هويدي، فهمي، 1989، مواطنون لا ذميون، موقع غير المسلمين في مجتمع المسلمين، دار الشروق، القاهرة.
- المراجع التركية:**
- Büyükkaracı. 1996. Süleyman, Osmanlı Devleti ve Cumhuriyet Türkiye'sinde Yabancı Okullar, Selçuk Üniversitesi Yayınları, Konya.
- Çavdar, Tevfik. 1970. Osmanlıların Yarı Sömürge Oluşu, Ant Yayınları, İstanbul.
- Diñçer, Nahid. 1978. Yabancı Özel Okullar, İstanbul.
- Ertuğul, Halit. 2002. Kültrümüzü Etkileyen Okullar, Nesil Yayınları, İstanbul.
- Ergin, Osman. 1977. Türkiye Maarif Tarihi, C.1-2, Eser Matbaası, İstanbul.
- Haydaroğlu, İlknur Polat. 1993. Osmanlı İmparatorluğunda Yabancı Okullar ve Misyonerlik Faaliyetleri, Ocak Yayınları, Ankara.
- Karal, Enver Ziya. 1988. Osmanlı Tarihi, C.6, T.T.K. Yayınevi, Ankara.
- Mutlu, Şamil. 2005. Osmanlı Devleti'nde Misyoner Okulları, Gökkuşbu, İstanbul.
- Okan, Kenan 1971. Türkiye'deki Yabancı Okullar Üzerine Bir
- القرآن الكريم.
- إنجيل متى.
- إنجيل مرقس.
- ابن منظور، أبي الفضل بن مكرم (630هـ - 711هـ) (لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، بيروت، 1979.
- أنيس، محمد، 1985، الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914م)، مكتبة الانجلو، القاهرة.
- إينالجيک، خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرنؤوط، 2002، دار المدار الإسلامي، بيروت.
- الحويبري، محمود محمد، 2002، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة.
- حبيب، كمال السعيد، 2002، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية، من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (622م . 1908م / 1هـ . 1325هـ)، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- الخالدي، مصطفى، وعمر فروخ، 1986، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
- رستم، سعد، 2004، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق.
- عيسى، عبد الرازق عبدالرازق، 2005، التنصير الأمريكي في بلاد الشام (1834 . 1914م)، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- مانتران، روبرت مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، 1993، دار الفكر، القاهرة.
- نعيم، خالد، 1988، الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية

377-403.
Açıkses, Erdal, Osmanlı Devleti'ndeki, Misyonerlik faaliyetleri ile ilgili bir Değerlendirme, Osmanlı, C.2, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara 1999. s. 192- 203.
Sezer, Ayten, Osmanlı Döneminde Misyonerlik Faaliyetleri, Osmanlı, C.2, Yeni Türkiye Yayınları, İstanbul 1999, s. 181-191.
Şişman, Adnan, Misyonerlik ve Osmanlı Devleti'nin Son Döneminde Kurulan Yabancı Sosyal ve Kültürel Müesseseler, Türkler, C. 14, Yeni Türkiye Yayınları, Ankara 2002, s. 173-180.

İnceleme, Milli Eğitim Bakanlığı Araştırma Koordinasyon Dairesi Yayını, Ankara.
Polvan, Nurettin. 1952. Türkiye'de Yabancı Öğretim, C.1, Milli Eğitim Bakanlığı Yayınları, İstanbul.

الدوريات العربية:

العلام، مهند، "عصر التجارة والامتيازات"، المؤسسة الوطنية للدراسات والبحوث.

الدوريات التركية:

Arsalantürk, Zeki, Misyonerleri Çalışma Yöntemleri, Türkiye'de Misyonerlik Faaliyetleri, Ensar Neşriyet, İstanbul 2004, s.

The Activities of Catholic Missionaries in Anatolia during the Nineteenth Century; The Activities of French Missionaries, (A Case Study)

*Eman A. Hayajneh, Hanan S. Malkawi **

ABSTRACT

This study seeks to explore the nature of the Catholic missionaries in the Ottoman provinces, in particular Anatolia during the nineteenth century. The research also attempts to shed light on the activities of the Catholic missionaries in the educational field as an example, and explains the beginning of the missionaries activities in the Ottoman Empire and the factors that facilitated their attempts in different provinces (Wilayat). In addition, the study discusses the ways the missionaries utilized to spread their efforts in schools that were established in many districts within the Empire, and the attitude of the Ottoman government towards such activities.

Finally, the study ends with the results and effects of these missionaries activities on the Ottoman society.

Keywords: Catholic Missionaries, Anatolia, Education.

* Department of History, Faculty of Arts, The University of Jordan. Received on 14/5/2013 and Accepted for Publication on 6/10/2013.